كيف تكسب الأصدقاء
في نظر أهل البيت (ع)

محمد الحيدري

دار الأضواء

كيف
تكسِبُ الأصْدقـاء
في نظر أهل البيت (ع)

محمّد الحيدري

كيف تكسب الأصدقاء في نظر أهل البيت (ع)

يُرشدكَ الى الحياة الاجتماعيّة السعيدة

الكتاب: كيف تكسب الأصدقاء
المؤلف: محمد الحيدري

بيروت ـ لبنان
١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

* ﴿وَاعْتَصِمُو بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاَصْبحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّار فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها﴾.

* ﴿هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِه وبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الأَرْضِ جَميعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

* ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾.

تمهيد

من الكلمات المأثورة عن علماء الاجتماع التي تداولتها الألسن ولاكتها الأفواه قولهم: «الانسان اجتماعي بالطبع» ومعنى هذا أنّ الانسان مفطور على الصلة بأبناء جنسه، مجبول على الاجتماع بهم. وهذه غريزة أودعها الله في الناس لتستقيم حياتهم، وتنتظم أمورهم حيث ان الفرد لا يقوى بمفرده على اجتياز مراحل الحياة الدنيا المحفوفة بالمكاره، المملوءة بالصعاب، المقرونة بالأخطاء. فلا بد من الاستعانة والتعاون ليتسنّى للجماعات المتعاضدة أن تقوم بما لا يقوم به الفرد، وان تدفع عنها ما لا يدفعه الفرد.

وكلما تراصت صفوف البشر، وزاد بينهم التآزر والتعاون تقدموا في مضمار الحياة، وعلوا في مدارج الرقي والكمال. لذلك جاء الاسلام- دين التقدم والخلود- يدعو البشرية جمعاء أن يعملوا متعاضدين، ويعيشوا متحابين، ويسيروا متكاتفين. حتى يتسنّى لهم تحقيق آمالهم، والبلوغ الى أهدافهم. فصرخ فيهم صوت السماء:

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَر وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ[1]﴾ ﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى البِرِّ

(١) سورة الحجرات ١٣

وَالتَّقْوى[1] * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً وَلا تَفَرَّقُوا[2] *وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ[3] *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ[4] هذه دعوة الاسلام الى الناس اجمعين

* * *

ولما كان كل فرد من أفراد الانسان معرّضاً في هذه الحياة للشدائد المنهكة، والنكبات المؤلمة، والمشاكل الموهقة التي لا يستطيع أن يثبت منفرداً أمامها فلا بد لهذا الفرد من أن يدّخر لنفسه فرداً أو أفراداً من أبناء جنسه يجعل بينه وبينهم رابطة وثيقة، واتصالا أكيداً ، ومحبة ومودّة اكثر ممن سواهم حتى يكون بين هؤلاء الأفراد شعوراً أخويّاً صادقاً ، واحساساً ودّياً خالصاً يدفع كلاً منهم الى شدّ عضد الآخر ومؤازرته، ومعاضدته، وقضاء حاجته، وانقاذه من شدته، وانتشاله من هوّته. وهذه الرابطة المقدسة التي وصلت هؤلاء بهؤلاء، وقاربت بين قلوبهم وميولهم وحبّبت بعضهم الى بعض تسمى: «الصداقة »وهي أمرضروري للحياة لا يستغني كل فرد عنه مهما أوتي من قوة على احتمال المشاق

---

(١) سورة المائدة ٢ .
(٢) سورة ال عمران ١٠٣ .
(٣) سورة الانفال ٤٦ .
(٤) سورة الحجرات ١٠ .

وصبر على تحمل المكاره، وفكر ثاقب في تدبير الأمور. لذلك اهتم علماء الاجتماع ورجال التربية ودعاة الاصلاح الى معالجة هذه الناحية الهامة في الحياة ليضعوا للناس انجح الطرق ، وأصلح الوسائل لتوثيق الروابط الأخوية، واكتساب مودة الناس ومحبتهم التي هي العنصر الأساسي لبناء كيان الصداقة بين الناس. إذأن الصداقة إذا لم تكن مستندة على الحب القلبي الصحيح الذي لا يشوبه رياء ولا تكدره الاغراض الدنيئة فهي صداقة جوفاء لا خير للانسانية فيها، ولا فائدة يرجى منها.

ولعل أهم كتاب أخرج للناس في هذا العصر لبحث هذا الموضوع هو كتاب: «كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس» تأليف مؤسس معهد العلاقات الانسانية بنيويورك الاستاذ ديل كارنيجي. وتعريب الاستاذ المصري عبد المنعم محمد الزيادي. ومؤلف الكتاب رجل عركته التجارب، وحنّكته الحوادث حتى استطاع أن يستخلص منها أطيب النتائج، وأثمن الدروس في طرق معاشرة الناس بعضهم ببعض ، وكيف يستطيع الانسان أن يجذب أكبر عدد من الناس اليه . و كتابه مدعم بالتجارب، ومفعم بالحوادث التي تؤكد ما يذهب اليه، وتصدق دعواه

ولكن لا أرى أنّ جميع نظرياته التي رسمها لاكتساب الأصدقاء والتأثير في الناس تؤدي الى النتائج التي وضعها. وهبْ أنّها أفادت

ذلك وأثرت في الناس فليس كل طريق يكسب الاصدقاء. ويؤثر فيهم حسن يجمل بالانسان أن يسلكه وإن أضرّ به في نواحي أخرى, وإلا فمن يتذبذب للناس، ويخدم أفكار كل من يراه، ويتذلل لكل من يلقاه، ويتكيف مع كل انسان بما يلائم أوضاعه، ويوافق أفكاره قد يستطيع أن يجذب اليه اكبر عدد من الناس الذين يحبون المذبذبين، ويألفون الى الموافقين لهم في الأهواء، المسايرين لهم في الآراء، ويبغضون الناصحين الصريحين، ويفرون ممن لا يقرهم على ميولهم واتجاهاتهم في الحياة. وما اكثر هؤلاء- في هذا المجتمع- مع الأسف الشديد. ولكن هل أن اكتساب هؤلاء المذبذبين لهذا العدد الكبير من الأصدقاء والتأثير في الناس بمثل هذه الطرق صحيح يقرّه العقل السليم، أو يرضى به الضمير الحي ، أو تؤيده القيم الأخلاقية والإجتماعية التي هي الحكم العدل في مثل هذه الامور؟كلا. .ثم كلا.

نعم الذين أحاطوا بهذه الناحية الإجتماعية الخطيرة من جميع جهاتها، ووضعوا لها أنجح الطرق وأقربها الى تحقيق هذه الغاية النبيلة هم خزائن العلم الإلهي، ومعدن التعاليم السماوية أهل البيت عليهم السلام الذين ائتمنهم الله على وحيه، واسترعاهم أمر خلقه، وجعلهم دلائل الى الحق وحججاً على الخلق . وأعني بأهل

البيت سيد **الأنبياء** محمداً وآله الهداة المهديين صلوات الله عليهم اجمعين الذين قلّدهم الله ذلك الوسام الإلهي الرفيع:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا[1]﴾.

فهلم معي لاوقفك على ما جاء عن أهل البيت من التعاليم والتوجيهات في اكتساب **الأصدقاء** والتأثير في الناس. وكيف يستطيع الانسان أن يعيش مع اخوانه عيشة راضية حميدة، ويحيا مع أصدقائه حياة رغيدة سعيدة. من غير تضييع للمبدإ، ولا تنكب عن العقيدة، فسوف ترى ما يدهش لبّك، ويبهج قلبك انشاء الله.

ثم قارن بينه وبين ماجاء في كتاب «ديل كارنيجي» لتعرف أنّ ما اتى به هذا الرجل في مثل هذا العصر قد نصّ عليه أهل البيت من قبل، وزادوا عليه بما لا قِبَل لهذا الرجل ولا لغيره بمثله، مما يصلح المجتمع ويسعد البشر ليعيشوا بوئام وسلام. تغمرهم المحبة، وتخيّم عليهم السعادة، ويسود بينهم الاخاء.

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

نظرة أهل البيت الى الصداقة

حقاً ان كلام أهل البيت الطاهر مدرسة علمية كبرى أحاطت بمختلف العلوم والآداب، وافاضت على المجتمع دروساً قيّمة في كل فنّ. . كلامهم بعيد المرمى، عميق الغور، واسع الآفاق علل المشاكل الاجتماعية ووقف على مكنونها، وبيّن للناس أنجح الطرق لحل تلك المشاكل .

نظر أهل البيت الى الأمراض الإجتماعية فشخصوا الداء ووضعوا له أنجع الدواء. فهم بحق أساتذة البشرية، وهداة الإنسانية لفضل ما جاء عنهم من علم، وما ظهر عنهم من معارف مما يعجز عنه كبّار رجال الفلسفة والإجتماع.

ولما كان موضوع «الصداقة والاخوَّة »من أهم مقتضيات الحياة وأعظم ضروريات الانسان، فقد حظت بقسم وافر من عنايتهم واهتمامهم فجاءت توجيهاتهم وتعليماتهم تترى في وضع أسس هذه الصداقة وما تتطلبه من صفات وشروط. ونصحوا الناس جميعاً في أن لا يتهاونوا في ادّخار الأصدقاء واكتساب الأحباء حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يَألفون ويُؤلفون).

وقال «ص»: (ما أحدث عبد أخاً في الله إلا أحدث له درجة في الجنة) وقال ايضا: (المؤمن أَلِف مألوف ولا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤلف). وقال أيضاً: (ودّ المؤمن للمؤمن في الله أعظم شُعَب الايمان ألا ومن أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى في الله،

ومنع في الله فهو من أصفياء الله).

فترى النبي«ص» يحث الناس على التوادد والتآخي، ويحبب لهم ذلك بذكر ما أعدّ الله للمتحابّين من الأجر العظيم والنعيم المقيم. ولكن بشرط أن يكون الحب في الله خالصاً من الاغراض الدنيئة والمصالح المادية والمطامع السافلة. فالحب الصادق والمودة الخالصة هما اللذان يدعو إليهما الاسلام، وهما اللذان أعدّ الله لصاحبهما الثواب الجزيل والمقام المحمود يوم القيامة. وهما اللذان يدلان على ايمان الرجل وصلاحه كما قال رسول الله «ص» لأصحابه (أيّ عرى الايمان أوثق؟) قالوا: الله ورسوله اعلم. فقال بعضهم: الصلاة وقال بعضهم: الزكاة. وقال بعضهم: الحج والعمرة. وقال بعضهم: الجهاد فقال رسول الله «ص»: (لكل ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله).

وقال ايضاً: (من آخى أخاً في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيءٍ من عمله).

وقال امام المسلمين علي بن ابي طالب عليه السلام: (الناس اخوان فمن كانت اخوّته في غير ذات الله فهي عداوة وذلك قول الله عزّ وجل: «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ».

وقال أيضاً: (خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم، وان عشتم حنوا اليكم). وقال: (طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله).

وقال الامام الصادق«ع»: (من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فهو ممن كمل ايمانه).

وقال ايضاً: (لا يبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتى يحب أبعد الخلق منه في الله، ويبغض أقرب الخلق منه في الله).

وكلما كان الصديق أكبر حباً لصديقه وأشدّ مودة له كان أعظم منزلة عند إلله، وأرفع درجة لديه كما قال رسول الله«ص»: (ألا أخبركم بأشبهكم بي خُلقا) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (احسنكم خُلقا، وأعظمكم حلمًا، وأبرّكم بقرابته، وأشدكم حبّاً لاخوانه في ربّه، وأصبركم على الحق، وأكظمكم للغيظ، وأحسنكم عفواً، وأشدكم من نفسه إنصافاً).

وقال ايضاً: (ما تحابَّ اثنان في الله إلاكان أحبُّهما إلى الله أشدَّهما حباً لصاحبه). وقال الإمام الصادق«ع»: (ما التقى مؤمنان قط إلا كان أفضلهماأشدهما حباً لأخيه).

ولكثرة اهتمام الاسلام بالتحابب والتآخي اعتبر الذين يألفون الناس ويكسبون مودتهم، ويعاشرونهم بالاحسان أحبَّ الناس الى الله واكثرهم فضلا فقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّ أحبكم الى الله الذين يألفون ويُؤلفون، وإنّ أبغضكم

الى الله المشّاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان).

وقال ايضاً :(أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً[1] الذين يألفون ويُؤلفون).

أهمية الصديق في الحياة

لا تحسب أنّ في الحياة شيئاً يسعد الإنسان ويسرّه اكثر من اكتساب صديق صالح يشاركه في مشاعره، ويغمره بعواطفه. يأنس اليه في الوحشة، ويستعين به في الشدائد، ويعتمد عليه في الملمات، ويستشيره اذا نزلت به نازلة أو دهمه خطب سد عليه منافذ تفكيره. فلا يرفع عن الانسان وطأة الخطوب والأحداث إلا الصديق الصادق حتى قال العالم الاجتماعي الشهير اللورد افبري في كتابه« السعادة والسلام»: (واتخاذ الصديق الصدوق ليس بالسهل اليسير ومن تسنىّ له ذلك فليعلم أنه فاز بكنز ثمين ينبغي له حسن القيام به).

وقال بعض الحكماء: (لو ملكت الدنيا لكانت لا تعدل عندي ذرة من وفاء صديق ، ومودة أخ كريم).

والصديق الحميم قد يبلغ بأخوّته منزلة أخيك من أمك وأبيك وقد يفوقه كما قال أمير المؤمنين علي«ع»: (ربَّ أخ لك لم تلده

---

(١) الموطؤون اكنافاً: من التوطئة وهي التذليل والتمهيد. والاكناف: الجوانب وهي كناية عن التواضع ولين الجانب.

أمك) وقال أيضاً: (ربَّ بعيد أقرب من قريب).

وقال رسول الانسانية الأعظم«ص»: (من أراد الله به خيراً رزقه خليلا صالحاً إن نسى ذكّره، وإن ذكر أعانه). وقال أيضاً: (ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الاسلام مثل أخ يستفيده في الله).

وقال أيضاً: (لايدخل الجنة رجل ليس له فَرَط[1] قيل: يا رسول الله ولكلّنا فَرَطٌ. قال: (نعم إنّ من فَرَطِ الرجل أخاه في الله).

وقال حكيم الاسلام الاكبر علي بن أبي طالب«ع»: (عليكم بالاخوان فانهم عُدة في الدنيا والآخرة).

وقال ايضاً: (لقاء الاخوان مغنم جسيم وإن قلّوا).

وقال ايضاً: (أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم).

وقال رجل عند الامام الباقر«ع»: (اللهم أغننا عن جميع خلقك). فقال ابو جعفر «ع» (لا تقل هكـذا ولكن قل: اللهم اغننا عن شرار خلقك فإنّ المؤمن لا يستغني عن أخيه).

وقال ايضاً: (من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله، ووفاء باخائه طلباً لمرضاةالله فقد استفاد شعاعاً من نورالله، وأماناً من عذاب الله، وحجة يفلح بها يوم القيامة، وعزاً باقياً، وذكراً نامياً).

---

(١) الفرط: المتقدم والسابق.

وقال الامام الصادق «ع» : (اكثروا من الأصدقاء في الدنيا فانّهم ينفعون في الدنيا والآخرة. أما الدنيا فحوائج يقومون بها وأما الآخرة فانّ أهل جهنم قالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم). وقال : (من لم يرغب في الاستكثارمن الاخوان ابتلي بالخذلان).

وقال ايضاً: (حافظ على الصديق ولو بالحريق).

وقال ايضاً: (استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن دعوة مستجابة)

وقال : (استكثروا من الإخوان فان لكل مؤمن شفاعة). وقال: (أكثروا من مؤاخاة المؤمنين فان لهم عند الله يداً يكافئهم بها يوم القيامة).

وقال: (من حب الرجل دينه حبه لاخوانه). وقال: (المرء كثير باخوانه).

وقال الامام الكاظم«ع»: (وأجل الخلائق وأكرمها اصطناع المعروف ، وإغاثة الملهوف، وتحقيق أمل الآمل، وتصديق مخيلة الراجي، والاستكثار من الأصدقاء في الحياة).

وقال الامام الرضا«ع»: (من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة).

وقد لفت أهل البيت أنظار الناس الى أنّ اتخاذ الأصدقاء من ألذّ متع الحياة الدنيا، فقال رسول الله«ص»: (إن المؤمن يسكن

الى أخيه كما يسكن الظمآن الى الماء البارد). وقال أيضاً: (ثلاثة راحة المؤمن التهجد آخر الليل، ولقاء الاخوان، والافطار من الصيام).

وعن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبدالله يقول: (لكل شيء شيء يستريح اليه، وإنّ المؤمن يستريح الى اخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله).

وقال ايضاً: (الانس في ثلاث الزوجة الموافقة، والولد البار، والصديق المصافي).

وقال بعض الشعراء:

تكثّر من الاخوان ما اسطعت انهم
كنوز إذا ما استنجدوا وظهور
وليس كثيراً الف خل وصاحب
وإنّ عدواً واحداً لكثير

من هو الصديق المختار؟

الصديق هو شريك الحياة، هو الذي يجري في الانسان مجرى الروح في البدن، هو المرآة التي تنعكس عليها حسنات المرءوسيئاته كما قال الرسول الأعظم«ص»: (المؤمن مرآة أخيه يميط عنه الأذى). وهو محط الأسرار ومبعث الآمال لذلك يجب أن يكون حسن السيرة، طيب السريرة طاهر الذّات، جميل الصفات حتى يقتدي به صاحبه، ويهتدي به رفيقه. فإنّ تأثير الصديق عظيم جداً

لا اغالي لو قلت: إنّه أعظم مؤثر في حياة الانسان وأهم مكيّف له. فكم من رجل صالح أثّر في نفوس أصحابه ورفقائه فأصبحوا صالحين. وكم من رجل طالح أثّر في نفوس أصدقائه فأصبحوا طالحين. هذا أمر ثابت لا ريب فيه يؤيده الوجدان، وتدعمه الحوادث الواقعة، وينصّ عليه المفكرون قديماً وحديثاً.

ونظراً لأهمية هذا الأمر وتأثيره البالغ في حياة الانسان من حيث السعادة والشقاء جاءت النصوص عن أهل البيت«ع» متواترة ومتضافرة تحث الناس على اتخاذ الأصدقاء الصالحين، وتحذّرهم من مصاحبة المجرمين والمفسدين.

ولم يكتف أهل البيت بهذا الحث وهذا التحذير حتى بينوا للناس صفات الصديق الصالح، ومن هو الجدير بالصحبة والمودّة. ثم بينوا صفات صديق السوء، ومن هم الذين يجب على الانسان أن يبتعد عنهم، ويفرّ منهم. والأحاديث في مثل هذه الناحية الهامة كثيرة جداً لا يمكن استقصاؤها في مثل هذه الرسالة. ولكن نذكر منها جملة تصوّر لنا الصديق الصالح بأروع تصوير حتى نبحث عنه ونصطفيه، كما تمثل لنا الصديق السيِّء بأقبح تمثيل حتى نحذر منه ونتّقيه.

قال رسول الله(ص): (سائلوا العلماء، وخاطبوا الحكماء، وجالسوا الفقراء) وما ذلك إلاّ لأنّ في مجالسة العلماء تهذيباً للنفس، وتنويراً للعقل، وزيادة في المعارف. وكذلك مخاطبة الحكماء فانّ في معاشرتهم اكتساباً للحكمة(ومن يؤت الحكمة فقد

أوتي خيراً كثيرا) . وقال امير المؤمنين (ع) : (لا تصحب إلا عاقلا تقيا، ولا تخالط إلا عالماً زكيا، ولا تودع سرك إلا مؤمناً وفيا).

وقال (ع) : (واعلموا أنّ صحبة العالم واتباعه دين يدان به، وطاعته مكسبة للحسنات، ممحاة للسيئات، وذخيرة للمؤمنين ، ورفعة في حياتهم ومماتهم، وجميل الاحدوثة عند موتهم).

وقال زين العابدين (ع) : (مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل).

لذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: (يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فانّ القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الارض الميتة بوابل القطر). وقال ايضاً لابنه: (من يدخل مداخل السوء يتهم ، ومن يصاحب السوء لا يسلم، ومن يجالس العلماء يغنم).

وقال سيد الأنبياء(ص): (عليك باخوان الصدق فانّهم زينة في الرخـاء وعصمة في البلاء).

وسئل: أي الأصحاب أفضل ؟ فقال :(اذا ذكرت أعانك، وإذا نسيت ذكّرك).

وقال في وصيته لابن مسعود :(فليكن جلساؤك الأبرار ، واخوانك الأتقياء الزهاد لأنّ الله تعالى قال في كتابه: (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّإلا المتقين).

وقال في وصيته لأبي ذر(رض) : (يا أبا ذر لا تصاحب إلا مؤمناً). وقال ايضاً: (أسعد الناس من خالط كرام الناس). وقال

أيضاً: (ثلاث مجالستهم تميت القلوب، الجلوس مع الأنذال، والحديث مع النساء والجلوس مع الأغنياء).

وقال ايضاً: (اذا رأيتم الرجل قد اعطي الزهد في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة).

وقال ايضاً في صفة من يجب أن يؤاخى ويُصاحب: (من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدّثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوّته). كل ذلك حتى يكسب الانسان منه هذه الصفات الحميدة لذلك قال(ص): (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل).

وقال أيضاً: (العافية عشرة أشياء، تسعة في الصمت إلا عن ذكر الله والعاشرة في ترك مجالسة السفهاء).

وقال أمير المؤمنين(ع) لكميل بن زياد النخعي: (يا كميل: قل الحق على كل حال، ووازر المتقين، واهجر الفاسقين- ياكميل: جانب المنافقين، ولا تصاحب الخائنين- يا كميل لا بأس أن تُعلم أخاك سراً. يا كميل: من أخوك؟ أخوك الذي لا يخذلك عند الشدة، ولا يقعد عنك عند الجريرة، ولا يخدعك حين تسأله). وقال لا تصحبنّ أبناء الدنيا فانّك إن أقللت استقلوك، وإن اكثرت حسدوك).

وقال: (فساد الأخلاق معاشرة السفهاء وصلاح الأخلاق معاشرة العقلاء). وقال: (صديق الجاهل مُعرّض للعطب). وقال: (عاشر أهل الفضائل تنبل). وقال: (مجالسة

العقلاء تزيد في الشرف). وقال: (لا تصحبن من لا عقل له).

وقال: (اياك وقرين السوء فانه كالسيف المسلول يروق منظره ويقبح أثره). وقال: (مصاحبة الأبرار توجب الشرف، ومصاحبة الأشرار توجب التلف).

وقال: (فرّ الفرار كله من اللئيم الأحمق)

وقال: (لا تصحب المائق[1] فانه يزيّن لك فعله، ويودّ أن تكون مثله). وقال: (عدو عاقل خير من قرين أحمق).

وهبْ أنّك لا تتأثر بأفكاره الفاسدة ومعتقداته الباطلة وأخلاقه السافلة ولكن لا شك انه يؤثر على سمعتك، ويشوّه ذكرك بين الناس فلا تُذكر إلا ويذكر معك لذلك حذّرنا الحكيم الأعظم علي بن أبي طالب (ع) من وخامة هذه العاقبة فقال: (اياك وقرين السوء فانّك به تعرف).

وقال: (لا تصاحب همّازاً[2] فتُعد مرتاباً، ولا تخالط ذا فجور فترى متهما).

وقال الإمام الحسين(ع): مجالسة الدناة شر، ومجالسة أهل الفسوق ريبة).

وقال الامام الصادق (ع): (لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله:

---

(١) المائق: الأحمق.

(٢) همازاً: عياباً يذكر عيوب الناس.

(المرء على دين خليله وقرينه)

وقال : الامام موسى بن جعفر(ع) لرجل : مالي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب ؟ فقال : انّه خالي .

فقال : (انّه يقول في الله قولا عظيما ، يصف الله ولا يوصف فإما جلست معه وتركتناوإما جلست معنا وتركته) .

فقال: هو يقول ما شاء أي شيء عليّ منه إذا أنا لم أقل بقوله؟

فقال أبو الحسن(ع) :(أماتخاف أن تنزل نقمة فتصيبكم جميعاً) .

ولوكان قرين السوء لا يضر صاحبه إلا من حيث السمعة والاعتبار لكان الأمر هيناً ولكنه يؤثر ويغيّر ويسمم الأفكار ويفسد الأخلاق. ولقد مثل لنا رسول الله الجليس الصالح والجليس الطالح بأوضح مثال فقال: (إنَّ مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن يحذثك وإما أن تبتاع منه وإما ان تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة).

لذلك امرنا بمجالسة اهل الخير والصلاح لننال من خيرهم وصلاحهم فقال (ص) : (لا تجلسوا إلا عند من يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن العداوة الى المحبة ، ومن الرياء الى الإخلاص ومن الرغبة الى الزهد)

وقال الإمام علي بن أبي طالب (ع) : (إنّ قرين السوء يغيّر

جليسه).

وقال ايضاً : (مجالسة أهل اللهو تنسي القرآن وتحضر الشيطان).

وقال : (قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم).

وقال : (قل الحق وقرب المتقين ، واهجر الفاسقين ، وجانب المنافقين ، ولا تصاحب الخائنين) .

وسئل : اي الصاحب شر ؟ فقال : (المزَين لك معصية الله) وقال: (ينبغي للمسلم ان يجتنب مؤاخاة الكذّاب فإنه يكذب حتى يجيء بالصدق فما يصدق).

وخطب عليه السلام على منبر الكوفة فقال : (يا معشر المسلمين ليؤاخ المسلم المسلم ولا يؤاخ الفاجر ، ولا الأحمق ولا الكذاب . فانّ الفاجر يزين لك فعله ، ويحثك أن تأتي مثله ، ولا يعينك على امر دينك ودنياك فمدخله ومخرجه من عندك شين عليك) .

واما الأحمق : فانّه لا يطيع مرشداً، ولا يستطيع صرف السوء عنك، وربما اراد أن ينفعك فيضرك، بُعده خير من قربه، وسكوته خير من منطقه، وموته خير من حياته.

واما الكذاب : فانه لا ينفعك ، ويسبب لك العداوة ، ويثبت

لك السخائم [1] في الصدور ، ويفشي سرك ، وينقل حديثك، وينقل احاديث الناس بعضهم الى بعض) .

وقال (ع) لولده الحسن(ع) : (يا بني : اياك ومصادقة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك . واياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك احوج ما تكون اليه . واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه . واياك ومصادقة الكذّاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب) .

وقال ايضاً : (ينبغي للمسلم أن يجتنب مؤاخاة ثلاثة . الفاجر والأحمق والكذاب.

فأما الفاجر : فيزين لك فعله ويحب انك مثله ، ولا يعينك على امر دينك ومعادك ، فمقارنته جفاء وقسوة ، ومدخله عار عليك .

وأما الأحمق : فإنه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو جهد نفسه وربما أراد نفعك فضرك . فموته خير من حياته ، وسكوته خير من منطقه ، وبعده خير من قربه .

واما الكذاب فانه لا يهنيك معه عيش ، ينقل حديثك وينقل اليك الحديث حتى انه يحدث بالصدق فلا يُصدَّق، يغري بين الناس بالعداوة ، فيثبت الشحناء في الصدور . فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم).

---

(١) السخائم: الأحقاد والضغائن.

ومما ينسب اليه عليه السلام قوله :

فلا تصحب اخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهلٍ اردى حكيماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
وللمرء من المرء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وقال الامام الحسن السبط(ع) يوصي جنادة بن ابي أمية : (واذا نازعتك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا صحبته زانك ، واذا خدمته صانك ، واذا أردت معونة أعانك ، وان قلت صدّق قولك ، وان صلت شدّ صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان بدت منك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها، وان سألته اعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتداك وان نزلت بك احدى الملمات واساك . من لا تأتيك منه البوائق [1] ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق وان تنازعتما منقسماً آثرك) .

وقال الامام زين العابدين(ع) :(اياك ومصاحبة القاطع لرحمه فاني وجدته ملعونا في كتاب الله) . وقال ايضاً : (اياك ومصاحبة العاصين ، ومعونة الظالمين ، ومجاورة الفاسقين احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم) .

---

(١) من لا تأتيك منه البوائق: أي من لا ينالك منه شر وظلم وأذى.

وقال ايضاً : (مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح) . وقال الامام الباقر(ع) : (لا تقارن ولا تؤاخ اربعة : الأحمق والبخيل والجبان والكذاب.

اما الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك.

واما البخيل : فانه يأخذ منك ولا يعطيك.

واما الجبان : فانه يهرب عنك وعن والديه.

واما الكذاب: فانه يصدق ولا يصدّق.

وقال ايضاً : (من يصحب صاحب السوء لا يسلم)

وقال ايضاً: (إذا اردت ان تعلم ان فيك خيراً فانظر الى قلبك فان كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك . وإذا كان يبغض اهل طاعة الله ويحب اهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من احبه) .

وقال : (أحكم الناس من فرّ من جهال الناس ، وأسعد الناس من حالف كرام الناس ، واعقل الناس أشدهم مداراة للناس) .

وقال ابو عبد الله الصادق(ع) : (صاحب بمثل ما يصاحبونك تزدد إيماناً ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ، وشاور في امر الله الذين يخشون ربهم) .

وقال : (ومن لم يجتنب مصادقة الأحمق يوشك أن يتخلّق بأخلاقه)

وقال: (إياكم ومجالسة أهل الدنيا ففي ذلك ذهاب دينكم).

وقال : لأصحابه : (ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منهم ما تكرهون وما يدخل به علينا الأذى ان تأتوه فتأنبوه وتعذلوه وتقولوا له قولا بليغاً) فقال احدهم : جُعلت فداك **وإذاً** لا يقبلون منا. قال: (اهجروهم واجتنبوا مجالسهم).

وقال ايضاً : (لو انكم إذا بلغكم عن الرجل فمشيتم اليه فقلتم يا هذا إما أن تعتزلنا وتجتنبنا **وإما** ان تكف عن هذا فان فعل وإلا فاجتنبوه) .

وقال : (لا تصحب خمسة : الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرّب منك البعيد ويبعّد منك القريب . **والأحمق** فانك لست منه على شيء فانه يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه . والجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة. والفاسق فانه يبيعك بأكلة او **أقل منها**)

وقال أيضاً : (لا تصحب الفاجر و تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون ربهم).

وقال : (اياكم وعشرة أبناء الدنيا ففي ذلك ذهاب دينكم ويعقبكم نفاقاً وذلك داء رديء لا شفاء له ويورث قساوة القلب ويسلبكم الخشوع) .

وقال: (**ثلاثة** يجب على كل انسان تجنبها: مقارنة الاشرار، ومحادثة النساء، ومجالسة أهل البدع).

وقال: (**مجالسة** أهل الدين شرف الدنيا والآخرة).

وقال : (اياك ومخالطة السفلة فان السفلة لا تؤدي الى الخير).

وقال : (عليك باخوان الصدق فانهم عدة عند الرخاء ، وجُنّه عند البلاء وشاور في حديثك الذين يخافون الله ، وأحبَّ الاخوان على قدر التقوى).

وقال : (من داخل السفهاء حُقّر ، ومن خالط العلماءوُقّر).

وقال : (لا تشاور الأحمق ، ولا تستعن بكذاب ، ولا تثق بمودة ملول فان الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب. والاحمق يجهد لك نفسه ولا يبلغ ما تريد • والملول أوثق ما كنت به خذلك ، وأوصل ما كنت له قطعك).

وقال الامام الجواد(ع) : (اياك ومصاحبة الشرير فانه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح اثره) .

ولا شك ان الانعزال عن الناس خير للانسان من معاشرة الأشرار ومصاحبة السفهاء الذين ينفثون سمومهم الفتاكة بمن يتصل بهم ويركن اليهم لذلك قال امامنا موسى بن جعفر (ع) : (اياك ومخالطة الناس والأنس بهم الاّ أن تجد منهم عاقلا ومأموناً فائنس به واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية) .

وقال الامام علي بن ابي طالب(ع) : (كن بالوحدة آنس منك بقرناء السوء) .

وقد استقى ابو ذر من هذا المنبع الغزير فقال : (الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة). وأخذ

هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

وحـــدة الإنســان خـــير من جليس السوء عنده
وجليس الصـــدق خـير من جلوس المرء وحده

ومما جاء عن عيسى عليه السلام قوله: (تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم، والتمتسوا رضى الله بسخطهم).

ولقد نص على هذا الأمر الهام دستور الاسلام الأعظم «القرآن الكريم» حيث قال: ﴿لا تَجِد قَوماً يُؤْمنون بالله والْيَوْم الآخِر يُوادُّون مَنْ حادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا أبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ اخوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(١).

وقال: ﴿فَاعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلّىَ عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إلاّ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾(٢).

وقال بعض الشعراء:

صاحب أخا ثقة تحظى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب
كالريح آخذة مما تمرُّ به نتناً من النتن أو طيباً من الطيب

وقال الآخـــر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكـــل قـرين بـــالمقـــارن يقتـــدي
إذا كنت من قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

(١) سورة المجادلة ٢٢.
(٢) سورة النجم ٢٩.

حقوق الصداقة وحدودها

بعد أن عرفت الصفات التي يجب أن تتوفرفي صديقك الذي تصطفيه لنفسك ، ورفيقك الذي تجتبيه لأنسك . وعرفت ان الصالح المتورع عن محارم الله العامل بطاعة الله ، المتحلي بمكارم الاخلاق ومحاسن الأفعال هو الذي تجب أخوته ، وتجدر صحبته فان ظفرت بمثل هذا الصاحب الكريم ـ وما أقله ولا سيما في مثل هذا العصر ـ فعليك أن تحرص عليه كل الحرص وتفتح له قلبك ، وتحله منك المحل الأسمى . وقد روي ان رجلا قام الى أمير المؤمنين (ع) بالبصرة فقال : يا امير المؤمنين اخبرنا عن الاخوان فقال : (الاخوان صنفان : اخوان الثقة واخوان المكاشرة . فأما اخوان الثقة فهم كالكف والجناح والأهل والمال ، وإذا كنت من اخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك ، وصاف من صافاه ، وعاد من عاداه واكتم سره وأعنه ، واظهر منه الحسن . واعلم ايها السائل انهم اقل من الكبريت الأحمر.

واما اخوان المكاشرة : فانك تصيب منهم لذتك ولا تقطعن ذلك عنهم ، ولا تطلبنّ ما وراء ذلك من ضميرهم . وابذل ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان) .

ولقد ابدع الشاعر بقوله :

الأخلاء في الرخاء كثير وإذا ما بلوت كانوا قليلا
وإذا ما أصبت خلا حفيظا راعياً للاخاء برّاً وصولا
فتمسك بحبله أبد الدهر واكرم به أخاً وخليلا

وإذا ظفرت بمثل هذا الصديق الصدوق فقد حققت سعادتك لأن الصديق الصالح من أهم بواعث السعادة في الانسان كما قال الامام الصادق(ع) : (من سعادة المرء أن يكون متجره في بلده ، ويكون له اولاد يستعين بهم ، واخلاء صالحون ، ومنزل واسع ، وامرأة حسناء إذا نظر اليها سرّ بها)

وعليك أن تعلم ان هناك حقوقاً للاخوّة يجب أن ترعاها ، وحدوداً للصداقة يجب أن لا تتعداها وإلا عرّضت حبل المودة الى القطع ، وعقد الاخوّة الى النقض . وتلك جريمة كبرى لا يغتفرها لك العقل السليم ، ولا يقرك عليها الشرع المقدس حتى قال الامام الكاظم (ع) : (لا تضيع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس بأخ من ضيعت حقه ، ولا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته) .

وقال الامام الصادق(ع) : (ما أقبح بالرجل ان يعرف أخوه حقه ولا يعرف حق اخيه) .

وقال ايضاً :(من عظّم دين الله عظّم حق اخوانه) .

وجاءت الأوامر عن أهل البيت تترى في الحث على حسن الصحبة والتحبب الى الناس، والإحسان اليهم فقال رسول الله (ص) : (أحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلماً).

وقال أيضاً :(أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بالفرائض).

وقال الامام الحسن(ع) : (وصاحب الناس بمثل ماتحب أن يصاحبوك به تكن عدلا) .

وقال الامام الصادق (ع) : (ليس منا من لم يحسن صحبة من صحبه ومرافقة من رافقه ، ومخالطة من خالطه ، ومجاورة من جاوره ، ومجاملة من جامله ، ومسالحة من مالحه) .

وسئل الامام الرضا (ع): ما العقل ؟ فقال : (التجرع للغصّة، ومداهنة الأعداء ، ومداراة الأصدقاء)

وكذلك وردت الاحاديث عنهم صلوات الله عليهم في تعداد تلك الحقوق والحدود التي وضعها الاسلام بين المتحابين من المؤمنين لتتوثق بينهم عرى المودة والاخاء . وليحصل الغرض المطلوب من هذه الاخوة التي حث الدين عليها وشوّق اليها . فما هي تلك الحقوق والحدود يا ترى ؟

نعرض بين يديك- ايها القارىء الكريم- طائفة من الاحاديث التي تصدرت لبيان تلك الحقوق فتصفحها جيداً وأمعن النظر فيها حقاً حقاً ، وحدّاً حدّاً ثم حاول ان تطبقها عملياً مع أصحابك وأصدقائك تطبيقاً صحيحاً فسترى بعد ذلك شيئاً عجيباً ما كنت تحلم به من قبل . وستعرف ان تعاليم أهل البيت بعيدة لمرمى، جليلة المغزى .

١ـ قال رسول الله (ص) : (للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بأدائها أو العفو . يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خُلّته [١] ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضه، ويشهد ميتته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافي صلته، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حليلته [٢] ، ويقضي حاجته ، ويستنجح مسألته ، ويسمت عطسته [٣] ، ويرشد ضالته، ويرد سلامته ، ويطيب كلامه ، ويوالي وليه ولا يعاديه ، وينصره ظالماً ومظلوماً فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ، ولا يسلمه ، ولا يخذله ، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ، ويكره ما يكره لنفسه) . ثم قال : (ان احدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه) .

٢ـ وقال أيضاً : (للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله تعالى : اجلاله في عينه ، والودله في صدره ، والمواساة له في ماله ، وان يحرم له في غيبته ، وانْ يعوده فْي مرضه ، وان يشيع جنازته ، وأن لا يقول بعد الموت إلّا خيراً) .

٣ـ قال أمير المؤمنين(ع) : (لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في غيبته ، ونكبته ، ووفاته)

---

(١) الخلة ـ بضم الخاء ـ : المودة والصداقة .
(٢) الحليلة : الزوجة .
(٣) تسمية العاطس : الدعاء له .

٤ـ قال زين العابدين (ع) في بيان حقوق الأصحاب : (وأما حقّ الصاحب فأن تصحبه بالفضل ما وجدت اليه سبيلا وإلاّ فلا أقل من الانصاف ، وأن تكرمه كما يكرمك، وتحفظه كما يحفظك ، ولا يسبقك فيما بينك وبينه الى مكرمة فان سبقك كافأته ولا تقصر به عمّا يستحق من المودة ، تلزم نفسك نصيحته وحياطته ، ومعاضدته على طاعة ربه ، ومعونته على نفسه فيما يهم به من معصية ربه . ثم تكون عليه رحمة ، ولا تكون عليه عذاباً ولا قوة إلا بالله) .

٥ـ قال الامام الباقر(ع) (أحبب أخاك المسلم وأحب له ما تحب لنفسك ، واكره له ماتكره لنفسك ، وإذا احتجت فسله ، وإذا سألك فاعطه ، ولا تدخر عنه خيرا فانه لا يدخره عنك. وان شهد فزره ، وأجلّه واكرمه فانه منك وأنت منه . وان كان عليك عاتبا فلا تفارقه حتى تسل سخيمه [1] ، وإذا اصابه خير فاحمد الله عليه ، وان ابتلى فاعضده وتحمل له) .

٦ـ وعنه ايضاً : (اذكر أخاك إذا توارى عنك بما تحب ان يذكرك اذا تواريت عنه ، ودعه من كل ما تحب ان يدعك منه فان ذلك هو العمل)

٧ـ وعنه ايضاً : (من حق المؤمن على أخيه أن يشبع جوعته ويواري عورته ، ويفرج عنه كربته ، ويقضي دينه فاذا مات خلفه في أهله وولده)

---

(١) السخيمة : الحقد والضغينة.

٨ـ قال الامام الصادق(ع) : (الصداقة محدودة فمن لم يكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه الى كمال):

أولها : أن تكون سريرته وعلانيته واحدة .

والثانية : أن يرى زينك زينَه وشينَك شينَه .

والثالثة : لا يغيره مال ولا ولد .

والرابعة : ان لا يمسك شيئاً مما تصل اليه مقدرته .

والخامسة : أن لا يسلمك عند النكبات .

٩ـ وقال ايضاً : (ان من حق المؤمن على أخيه أربع خصال: إذا عطس أن يسمته [1] ، وإذا دعا أن يجيبه ، وإذا مرض أن يعوده ، وإذا توفي أن يشيع جنازته).

١٠ـ عن ابان بن تغلب قال: كنت أطوف مع ابي عبدالله الصادق(ع) فعرض لي رجل من اصحابنا قد سألني الذهاب معه في حاجة فأشار إليّ أن أدَع ابا عبد الله وأذهب اليه . فبينما أنا أطوف إذ أشار اليّ أيضاً فرآه أبو عبد الله (ع) فقال : (يا أبان اياك يريد هذا ؟) قلت : نعم . قال : ومن هو قلت : رجل من اصحابنا . قال : (هو مثل ما أنت عليه ؟) قلت : نعم. قال: فاذهب اليه واقطع الطواف. قلت: وان كان طواف الفريضة؟ قال : نعم . قال: فذهبت معه ثم دخلت عليه بعد فسألته قلت :

---

(١) أن يسمته: أن يدعو له نحو«يرحمك الله» وما شابه ذلك.

فأخبرني عن حق المؤمن على المؤمن . قال (يا أبان دعه) . قلت جعلت فداك فلم ازل أرد عليه قال : (يا أبان فقاسمه شطر مالك) .

١١ـ روى المعلى قال لأبي عبد الله(ع) : ما حق المسلم على أخيه المسلم ؟ قال له سبع حقوق واجبات ما منها حق الاّ وهو واجب عليه حقاً . ان ضيّع منها شيئاً خرج من ولاء الله وطاعته ، ولم يكن لله فيه نصيب، قلت له : جعلت فداك وما هي ؟ قال : (يا معلّى اني عليك شفيق أخاف أن تضيِّع ولا تحفظ ، وتعلم ولا تعمل) . قلت له : لا قوة إلا بالله فقال عليه السلام : (ايسر حق أن تحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك .

والحق الثاني : تتجنب سخطه ، وتتبع رضاه ، وتطيع أمره .

والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك وبدنك ورجلك .

والحق الرابع : أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه .

والحق الخامس : لا تشبع ويجوع ، ولا تروى ويظمأ ، ولا تلبس ويعرى.

والحق السادس : أن لا تكون لك امرأة وليس لأخيك امرأة ، ويكون لك خادم وليس لأخيك خادم ، وان تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه .

والحق السابع : ان تبر قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه،

وتشهد جنازته . وإذا علمت ان له حاجة فبادر الى قضائها لا تلجئه الى ان يسألكها ولكن بادره مبادرة . فاذا فعلت ذلك وصلت ولايته بولايتك وولايتك بولايته) .

١٢ـ وسئل عليه السلام : ما أدنى حق المؤمن على اخيه؟ قال: (ان لا يستأثر عليه بما هو أحوج اليه منه) .

١٣ـ وقال (ع) : (يحتاج الاخوة فيما بينهم الى ثلاثة اشياء فان استعملوها والا تباينوا وتباغضوا وهي : التناصف ، والتراحم ، وترك الحسد) .

فلو طبق الانسان هذه الشروط وعمل بهذه النصائح كان صديقاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى رفيع وغرض نبيل ، ولحصل على الهدف المطلوب اذ ليس الغاية من اصطفاء الصديق في الحياة هو التمتع بمنظره ، أو التلذذ بحديثه وانما هي صلة روحية تجعل من الانسانين انساناً واحداً من حيث العمل والتفكير والاتجاه فيقطعان مرحلة الحياة بالتعاون المتبادل والتعاضد المشترك ، ويستعين كل منهما بأخيه عند نزول الشدائد ، ويستشيره عند تأزم الامور.

مقوّماتُ المودّة

إنّ رعاية هذه الحقوق التي عرضناها عليك لما تزيد في توثيق الروابط وتأكيد الصلة وتثبيت المحبة بين الأصدقاء لأنّ الانسان اذا رأى صاحبه وفيّا في صحبته ، صادقاً في محبته ، مخلصاً في مودته ، لم ينقض عهدا ، ولم ينكث عقدا ، فانه يكبر في عينه ، ويعظم في نفسه ويتضاعف الحب والوداد فيقدمه على روحه ، ويؤثره على نفسه وهذا هو أقصى ما يطمح اليه أهل البيت عليهم السلام لذلك لم يَدَعوا شيئاً يثبّت دعائم الأخوة ويغرس جذور المودة إلاّ ونبهوا اليه ، وحثوا عليه . كما انهم لم يتركوا شيئاً مما يكدر النفس ويورث الشحناء والبغضاء إلاّ وحذّروا منه وأنذروا الناس بسوء نتيجته ووخامة عاقبته .

وسأعرض لك بعض مقومات المودة التي تطرَّق اليها أهل البيت في كلماتهم الخالدة .

١ـ التزاور

لعل اروع مظهر من مظاهرَ الوفاء والمحبة هو زيارة الصديق لصديقه وتفقده اياه في بيته فان وقعها في نفس صديقه المزور عظيم الأثر لأنها دليل على المودة الصادقة ، وبرهان على التجاذب القلبي الذي يشعر به كل من اخلص في الاخوّة ، وصدق في المحبة فتتأكد عندئذ الروابط ، وتستحكم المودة في القلوب لذلك قال الرسول

الاعظم (ص) : (الزيارة تنبت المودة)

وحث أهل البيت على التزاور والتواصل واعتبروا ذلك من الأعمال التي تقرب العبد الى الله زلفى .

فقال رسول الله(ص) : (إنّ ملكاً لقي رجلا قائمًا على باب دار فقال له : يا عبد الله ما حاجتك في هذه الدار ؟ فقال : أخ لي فيها اردت أن أسلم عليه . فقال : بينك وبينه رحم ماسة أو نزعتك اليه حاجة ؟ فقال : مالي اليه حاجة غير اني أتعهده في الله رب العالمين ، ولا بيني وبينه رحم ماسة أقرب من الاسلام . فقال له الملك : اني رسول الله اليك وهو يقرؤك السلام ويقول لك : إيّاي زرت فقد أوجبت لك الجنة ، وقد عافيتك من غضبي ومن النار لحبك اياه فيّ) .

وقال أيضاً : (من زار أخاه المؤمن في بيته قال الله تعالى : أنت ضيفي وزائري عليّ قراك ، وقد أوجبت لك الجنة بحبك اياه) .

وقال علي بن الحسين (ع) : (من زار أخاه في الله طلباً لانجاز موعود الله شيعه سبعون الف ملك وهتف به هاتف من خلف ألا طبت وطابت لك الجنة فاذا صافحه غمرته الرحمة) .

وقال الامام الباقر (ع) : أيما مؤمن خرج الى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ومحيت عنه سيئة ، ورفعت له درجة فاذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة فيقول : أنظروا الى عبديّ تزاوراوتحابّافيّ ، حق عليّ أن لا أعذبهما

بالنار بعد ذا الموقف فاذا انصرف شيعه ملائكة عدد نَفَسه وخطاه وكلامه يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق [1]الآخرة) .

وقال ايضاً : (من زار أخاه في الله صبابة اليه [2] فهو زائر لله ، فاذا صافحه لم يسأل الله حاجة في دين أو دنيا إلا قضاها) .

وقال الامام الصادق (ع): (التواصل بين الاخوان في الحضر التزاور. وفي السفر التكاتب) .

وقال : (ان العبد ليخرج الى اخيه في الله ليزوره فما يرجع حتى يغفر له ذنوبه ، وتقضى له حوائج الدنيا والآخرة) .

وقال: (من زار اخاه لله لا لغيره التماس وعدالله، وتنجز ما عند الله وكل الله به سبعين الف ملك ينادونه ألا طبت وطابت لك الجنة).

وقال : (من زار أخاه لله في الله قال الله عز وجل : اياي زرت وثوابك علي ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة) .

وقال : (ثلاثة من خالصة الله عز وجل يوم القيامة رجل زار أخاه في الله عز وجل فهو زوار الله وعلى الله أن يكرم زواره ويعطيه ما سأل . ورجل دخل المسجد فصلى ثم عقب فيه انتظاراً للصلاة الاخرى فهو ضيف الله عز وجل وحق على الله ان يكرم ضيفه ، والحاج والمعتمر فهما وفدالله عز وجل وحق على الله أن يكرم وفده).

---

(١) بوائق الآخرة: أهوالها وشدائدها.

(٢) صبابة اليه: أي حباً له وشوقاً اليه.

وقال: (من زار أخاه في الله جاء يوم القيامة يخطر بين قَباطيّ[1] من نور لا يمر بشيء إلا أضاء له حتى يقف بين يدي الله تعالى فيقول له عز وجل: «مرحباً» فاذا قال «مرحبا» أجزل له العطية) .

وهذه الدرجات الرفيعة انما ينالها من زار اخوانه المؤمنين وأصحابه الابرار كما قال الامام الصادق (ع) : (يا بني إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار فانهم صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا ينبت عشبها).

٢ـ السلام والمصافحة والمعانقة

لا شك انك تشعر عندما يحييك أخوك بتحية ودّية أو يصافحك مصافحة حارة ، أو يعانقك معانقة أخوية بما يغمر نفسك من ميل اليه وإقبال عليه حيث أن السلام والمصافحة والمعانقة دليل الحب ورمز الاخاء لذلك ورد الامر بها ، والحث عليها .

قال رسول الله (ص) : (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام) .

وقال أيضاً : (تصافحوا فانه يذهب بالغل) .

وقال: (اذا لقي احدكم اخاه فليصافحه وليسلم عليه فان الله اكرم بذلك الملائكة فاصنعوا بصنع الملائكة).

---

(١) القباطي: ثياب بيض رقيقة. مفردها «قبطي».

وقال الامام الباقر (إذا صافح الرجل صاحبه فالذي يلزم المصافحة أعظم أجراً من الذي يدع . ألا وان الذنوب لتتحات [1] فيما بينهما حتى لا يبقى ذنب) . لذلك ورد في صفات رسول الله(ص) انه يبدأ اصحابه بالسلام والمصافحة واذا صافح أحداً لا ينزع يده من يده قبله .

وقال الامام الصادق (ع) : (مصافحة المؤمن بألف حسنة) .

وسأل رجل أبا عبد الله الصادق (ع) عن أجر المؤمنَين إذا التقيا واعتنقا فقال له : (إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة ، فاذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجهه ولا يريدان غرَضاً من أغراض الدنيا قيل لهما : مغفور لكما فاستأنفا فاذا أقبلا على المساءلة قالت الملائكة بعضهم لبعض : تنحوا عنهما فان لهما سراً وقد ستر الله عليهما). قال اسحاق : قلت له : جعلتُ فداك فلا يكتب عليهما لفظهما وقد قال الله عز وجل : (ما يلفظ من قول الاّ لديه رقيب عتيد) . قال فتنفس ابن رسول الله ثم بكى حتى اخضلت لحيته وقال : (يا اسحاق ان الله تبارك وتعالى انما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين إذا التقيا اجلالا لهما . وانه وان كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ، ولا تعرف كلامهما فانه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السر وأخفى) .

وقال عليه السلام : (ان المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه فينظر الله اليهما والذنوب تحاطّ عن وجوههما حتى يفترقا كما تحط الريح الشديدة الورق عن الشجر).

---

(١) تتحات : تتناثر وتتساقط .

وقال لاسحاق بن عمار : (يا اسحاق أما علمت ان المؤمنين إذا التقيا فتصافحا انزل الله بينهما مائة رحمة تسع وتسعون منها لأشدهما حباً لصاحبه فاذا اعتنقا غمرتهما الرحمة) .

وقال ايضا : (مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة) .

٣ـ التهادي

وهذا ايضاً عامل هام من عوامل توثيق روابط الودوالحب ، وبه تطهر القلوب من ادران الضغائن والاحقاد . فكم من انسان حمل في قلبه غيظاً على اخيه فلم يتمكن من إزالة هذا الغيظ ورفع هذا الضغن الاّ بعد ان قدم له هدية رفعت كل شيء واعادت الامور الى مجاريها الطبيعية ، وانقشعت سحائب الكدر من قلبيهما فطهرهما الله من الضغائن ، وأصبحا بنعمته اخواناً. لذلك نرى اهل البيت لم يغفلوا هذه الناحية بل ألفتوا انظار الناس الى اهميتها، وأوضحوا لهم فوائدها .

قال رسول الله(ص) : (من تكرمة الرجل لأخيه المسلم ان يقبل تحفته ويتحفه بما عنده ، ولا يتكلف له شيئاً) .

وقال ايضاً : (الهدية تورث المودة ، وتجدد الأخوة وتذهب الضغينة تحابوا وتهادوا نعم الشيء الهدية امام الحاجة) .

وقال : (تهادوا فان الهدية تسل السخائم [1] ، وتخلي ضغائن العداوة والأحقاد) .

---

(١) السخائم: الضغائن.

وقال الامام الصادق (ع) : (تحبب الى اخوانك بصلتهم) .

وكما تكون الهدية شيئاً مادياً فقد تكون امراً معنوياً وهذه اكبر خطراً واعظم أثراً كما لو قدم له كلمة خير يستنير بها ، أومسألة في علم يحتاج اليها ، أو نصيحة ترشده الى الطريق **الأقوم**. وعلى هذا نص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : (ما أهدى المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى ، أو ترده عن ردى) .

٤ـ طلاقة الوجه والتبسم

وهذا هو الحجر الاساسي في كيان الصداقة ، بل هو المحبب الاكبر للانسان بين الناس أجمعين . فابتسامة واحدة تقابل بها صديقك كفيلة بأن تجذب اليك قلبه ، وتزيد في حبه اياك . وان كان في قلبه عليك شيء من **الأضغان** فقابله بثغر باسم ، ومحيا طلق فلا بد وان يطهر قلبه وتصفو نفسه من الاكدار لذلك قال الرسول الكريم (ص) : (حسن الخلق يثبت المودة وحسن البشر يذهب السخيمة [1]).

وقال رجل لرسول الله (ص) : اوصني فأوصاه النبي بوصايا كثيرة ومن جملة ما اوصاه قوله : (تحبب الى الناس يحبوك ، وإن استسقى أخوك من دلوك فصب له ، والق أخاك بوجه منبسط اليه)

وقال ايضاً : (انكم لن تسعوا الناس **بأموالكم** فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر) .

---

(١) السخيمة : الضغينة .

وقال ايضاً : (ما في أمتي عبد ألطف أخاً له في الله بشيء من لطف إلاّ أخدمه الله من خدم الجنه). وقال ايضا: (تبسم المؤمن في وجه المؤمن حسنة).

وقال امير المؤمنين (ع): (البشاشة فخ المودة).

وقال أيضاً: (البشاشة حبال المودة).

وقال ايضاً :(ان أحسن ما يُؤلّف به الناس قلوب اودائهم ، وينفوا به الضغن عن قلوب أعدائهم حسن البشر عند لقائهم ، والتفقد في غيبتهم والبشاشة لهم عند حضورهم).

وقال الامام علي بن الحسين (ع) : (من قال لأخيه : «مرحبا» كتب الله له «مرحباً» الى يوم القيامة) .

وقال الامام محمد بن علي الباقر (ع) : (البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة وقربة من الله عز وجل ، وعبوس الوجه ، وسوء البشر مكسبة للمقت وبعد من الله).

وقال : (تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرف القذا [1] عنه حسنة ، وما عبد الله بشيء أحب من ادخال السرور على المؤمن) .

وقال رجل للامام جعفر بن محمد الصادق (ع) : ما حد حسن الخلق ؟ قال : (أن تلين جانبك ، وتطيب كلامك ، وتلقى أخاك ببشر حسن) .

وقال ايضاً : (لِنْ لمن يجفو فقلّ من يصفو) .

---

(١) القذا: ما يقع في العين والشراب من تراب أو تبن أو وسخ. ولعل المراد بها هنا الآلام والأحزان

وقال الامام علي بن موسى الرضا(ع) : (من تبسم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنة ، ومن كتب الله له حسنة لم يعذبه)

وبقدر ما في طلاقة الوجه والتبسم والبشر من تأثير بالغ في كسب المودة وتوثيق المحبة تجد في انقباض الوجه ، وسوء البشر ، وانحطاط الاخلاق من أثر كبير جداً في تباعد القلوب ، وتنافر النفوس ، وقطع أواصر الحب والاخاء لذلك قال رسول الله (ص) : (إنّ الله يبغض المعبِّس في وجه اخوانه) .

ولقد أبدع الشاعر بقوله :

واني لمشتاق الى ظل صاحب يرقّ ويصفو ان كدرت عليه
عذيري من الانسان لا ان جفوته صفا لي ولا ان صرت طوع يديه

ولقد عقد الاستاذ ديل كارنيجي في كتابه «كيف تكسب الاصدقاء» فصلا عن أهمية الابتسام والبشر في كسب الاصدقاء والتأثير في الناس . وقصّ كثيراً من الحوادث والتجارب ثم ختم الموضوع بهذه الكلمة الوجيزة :

فاذا أردت أن يحبك الناس فاتبع القاعدة رقم «٢» : (ابتسم) . ومما جاء في هذا الفصل قوله : (ان تعبيرات الوجه تتكلم بصوت اعمق اثراً من صوت اللسان وكأني بالابتسامة تقول لك عن صاحبها : اني احبك ، انك تمنحني السعادة . انني سعيد برؤياك) .

٥ـ التواضع مع الاصدقاء

لا شيء يفسد المودة كالتكبر، ولا شيء يغرس الحب ويثبت الاخاء كالتواضع لأن المتواضع حبيب الى القلوب تروق مجالسته، وتلذ مصاحبته ،وتطيب محادثته كما قال الامام الصادق (ع) : (ثلاثة تورث المحبة : الدين ، والتواضع ، والبذل) .

والتواضع يزيد الأنسان رفعة بين الناس كما قال رسول الله(ص) : (التواضع لا يزيد العبد إلا ارتفاعاً). ويزيده شرفاً بين الناس كما قال الامام علي (ع) : (مفتاح الشرف التواضع) . وقال : (من أراد أن يكون شريفاً فليلزم التواضع).

وقال زين العابدين (ع) : (الشرف في التواضع) .

أما التكبر فلا يزداد به المرءإلّا مقتاً كما قال رسول الله(ص) : (أمقت الناس المتكبر).

وقال : (إنّ الله عز وجل أوحى الّي أن تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد، وكونوا عباد الله إخواناً) .

وقال الامام الحسن (ع) : (من تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصدّيقين) .

وقال الامام الكاظم (ع) : (اصحب السلطان بالحذر ، والصديق بالتواضع ، والعدو بالتحرز ، والعامة بالبشر) .

٦ـ حسن الظن بالصديق

كل واحد منا يلمس في نفسه الأثر البالغ عندما يعلم أنّ أخاه يحسن الظن به ولا يتهمه بشيء أبداً . فيدرك عندئذ لذة الاخوة ، ويشعر بامتزاج الروحين ، وتقارب القلبين لذلك قال امير المؤمنين وسيد المسلمين علي بن ابي طالب (ع) : (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يقلبك عنه ولا تظننَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجدلها في الخير سبيلا) .

وقال ايضاً : (لا يفسدك الظن على صديق أصلحه لك اليقين) .

وقال الامام زين العابدين (ع) : (إنّ المؤمن اخو المؤمن لا يشتمه ولا يحرمه ، ولا يسيء به الظن) .

وقال الامام الصادق (ع) : (اذا قال الرجل لأخيه «اف» انقطع ما بينهما من الولاية ، وإذا قال : «انت عدوي» كفر أحدهما . فاذا اتهمه انماث [1] الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء) .

وورد عنهم عليهم السلام : (المؤمن لا يتهم أخاه) .

وإذا أحسن صديقك الظن بك فلا تقابله بسوء الظن فانه يغرس في نفسه بغضك وكرهك لذلك نهى القرآن الكريم عن ذلك فقال : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [2] وعليك أن تكون في نفسك كما ظن بك صاحبك حتى

---

(١) انماث : ذاب

(٢) سورة الحجرات ١٢ .

لا يجد الخيبة في ظنه فتتبدل مشاعره نحوك ، وتذهب مودتك من قلبه لذلك قال الامام علي بن أبي طالب (ع) : (ومن ظن بك خيراً فصدّق ظنه) .

وحريٌ بالرجل العاقل أن لا يضع نفسه في موضع يحمل الناس على أن يسيئوا به الظّن فاذا فعل ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه كما قال مولانا أمير المؤمنين (ع): (من وضع نفسه موضع التهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن).

٧ـ الثقة بالإخوان

لقد ذكرنا في الفصول الاولى من هذا الكتاب من هو الصديق المختار ومن هوالذي تجدر صحبته ، وتجب مودته وبيّنا صفاته وسجاياه حسبما ورد عن أهل البيت عليهم السلام . فاذا اصطفيت لنفسك صاحباً جامعاً لتلك الخلال الحميدة ، متحلياً بتلك الصفات الحسنة فهو ـ ولا شك ـ ممن تثق به النفس ويطمئن به القلب فتعتمد عليه في دينك ودنياك وتجعله موضوع مشورتك ، ومستودع أسرارك ، ومحط أخبارك . وكلما تزداد الثقة بين الإخوان تزداد المودة ، وتعظم المحبة .

قال أبو عبد الله الصادق (ع) : (من كان الرهن عنده أوثق من أخيه فالله منهم بريء).

نعم لما كان اكثر الناس قد فسدت ضمائرهم . وخبثت نفوسهم فقلّ فيهم الوفاء ، ولم يرعوا حقوق الإخاء ، ولما يدخل

الايمان في قلوبهم فمن الحزم ان لا يثق الانسان بكل من يصحبه ويلقاه إلا بعد اختبار طويل تنكشف به حقيقته ، وتظهر به سريرته كما قال سيد الحكماء علي بن أبي طالب (ع) : (ابذل لصديقك كل المودة ولا تبذل له كل الطمأنينة ، واعطه كل المواساة ولا تفض اليه بكل الاسرار توفي الحكمة حقها والصديق واجبه) .

وورد عن عبدالله بن سنان قال: قال لي ابو عبدالله الصادق (ع) : (لا تثقنّ بأخيك كل الثقة فان سرعة الاسترسال لن تستقال)

٨ـ كتمان السر

قد يلذّ لصاحبك أن يخلو معك برهة من الوقت يحدثك بأخباره ويفضي اليك باسراره ، وقد يلذّ لك ايضاً مثل ذلك مع صديقك فتودعه ما تشاء من اخبار وأسرار ، ولا ضير عليك ولا عليه في ذلك إذ أن هذه سجية الأصدقاء والأحباء . ولكن عليك أن تحفظ أسرار أخيك فلا تفشيها الى غيرك ، فانك متى مافعلت ذلك نقضت عهد الأخوّة وخنته وغششته وليس بأخ من خان أو غش أخاه لذلك قال رسول الله (ص) : (انما المجالس بالأمانة ، ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه سراً) .

وقال في وصيته لأبي ذر«رض» : (يا أبا ذر : المجلس بالأمانة وافشاء سر اخيك خيانة) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (لا تثق بمن يذيع سرك) .

وقال الامام الباقر (ع) : (من الخيانة أن تحدِّث بسرّ أخيك) .

واحذر كل الحذر من أن تفضي بأسرارك الى من لا تأمنه عليها بل ضعها عند من تثق به كل الثقة ، وتعتمد عليه كل الاعتماد فان لم تجد ذلك فاحفظها في نفسك فذلك خير لك من افضائها الى غير مؤتمن كما قال الامام علي بن ابي طالب (ع) : (ولا تودع سرّك الاّ مؤمناً وفياً) .

وقال بعض الحكماء : (لا تودع سرّك الاّ حافظاً فان قلوب الأحرار حصون الاسرار) .

وقال الشاعر :

لا يحفظ السر إلا كل ذي كرم والسر عند لئام الناس مبذول

ولا تضع عند صديقك كل اسرارك ، ولا سيما إذا كان ممن يُحتمل فيه التبدل والانقلاب بل لا تخبره منها إلا بما لا يستطيع أن يضرك بها حتى فيما لو أصبح لك عدوّاً كما قال الامام الصادق (ع) : (ولا تطلع صديقك من سرك الاّ على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك ، فان الصديق قد يكون عدواً يوماً ما) .

ولأجل هذا نرى بعض الشعراء يبالغون في التحذير من الاصدقاء خوفاً من عاقبة الانقلاب فقال بعضهم :

إحذر عدوك مرة واحذرْ صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرّة

وقال الآخر :

إحـذر مـودة مـاذق[1] مـزج المرارة بـالحـلاوة
يحصي الـذنـوب عليـك ايـام الصداقـة للعداوة

ولهذا قال الامام الباقر (ع): (قم بالحق ، واعتزل ما لا يعنيك، وتجنب عدوك، واحذر صديقك من الأقوام الاّ الأمين).

٩ـ التفقد عن أحوال الصديق الشخصية

الانسان شغوف باسمه واسم أبيه واولاده وعشيرته وسائر شؤونه الخاصة يحب أن يرددها على لسانه في كل وقت . كما انه يهتّز طرباً عندما يسمع شخصاً من الناس ينادي باسمه . أو يذكره في مكان .

يقول ديل كارنيجي في كتابه «كيف تكسب الاصدقاء» : (وهل أدل على حب الناس لأسمائهم واعتزازهم بها من أن «بارنم» عندما أبت عليه الاقدار ان يعقب ولداً يحمل اسمه اوصى لحفيده «سيلي» بخمسة وعشرين الف ريال على أن يسمي نفسه باسم «بارنم سيلي».

ومنذ قديم الزمان اعتاد الاثرياء أن ينفحوا المؤلفين مبالغ من المال على أن يصدّروا مؤلفاتهم باهداء يوجهونه اليهم .

والمكتبات والمتاحف في كل بلد من بلاد العالم تدين بأثمن ما فيها من مجموعات لرجال أرادوا أن تخلد اسماؤهم ففي مكتبة

---

(١) الماذق: هو الذي لم يخلص في الود بل يشيبه بالكدر.

نيويورك العامة تجد مجموعتي «آستور»و«لينكوكس» وفي متحف «مترو بوليتان» تجد اسميْ «بنجامين ألتمان»و«ج. ب مورجان»

لذلك كان من الضروري بين الاصدقاء لتأكيد الروابط بينهم أن يتفقد بعضهم بعضاً عن أحوالهم الشخصية ، وشؤونهم الخاصة . ويسأل عن اسمائهم واسماء آبائهم والى من ينتمون ويحفظ ذلك في فكره حتى لو اجتمع بصاحبه هذا ناداه باسمه وباسم أبيه فان ذلك مما تلتذ به الاسماع وتطيب له النفوس ولن يُغفل اهل البيت (ع) هذه الناحية الهامة بل ارشدوا اليها ، ونبهوا عليها فقال رسول البشرية الاعظم(ص) :(إذا جاء الرجل فاسأله عن اسمه واسم ابيه وممن هو فانه أوصل للمودة) .

وقال ايضاً : (اذا أحب احدكم اخاه المسلم فليسأله عن اسمه واسم ابيه ، وقبيلته وعشيرته فانه من الحق الواجب وصدق الاخاء أن يسأله عن ذلك والاّ فهي معرفة حمقاء) .

وقال : (اذا آخى احدكم رجلا فليسأله عن اسمه واسم ابيه وقبيلته ومنزله فانه من واجب الحق وصافي الاخاء والاّ فهي مودة حمقاء) .

وقال :(ثلاثة يصفين ودّ المرء لأخيه المسلم . يلقاه بالبشر إذا لقيه ويوسع له في المجلس اذا جلس اليه ، ويدعوه بأحب الاسماء اليه) .

لذلك قال ديل كارنيجي في نهاية فصل عقده في هذا الموضوع: فاذا أردت أن يحبك الناس فاتبع القاعدة رقم «٣» :

اذكر ان اسم الرجل هو اجمل واحب الاسماء اليه .

١٠ـ تصديق الإخوان

اذا حدثك اخوك بحديث فصدّقه في حديثه ولا تجبهه بالرد والتكذيب فليس ذلك من صفات الإخوان ، ولا من سجايا الاخلاء ، وعلام تكذب أخاك ؟ اللهم إلّا أن تكون قد صحبت كذاباً وقد حذّرناك عاقبة ذلك ، وأوضحنا لك ما في صحبة الكذاب من أضرار عظيمة ، وأخطار جسيمة على الانسان . فاذا وعيت تلك النصائح التي استقيناها من ينابيع أهل البيت الفياضة بالعلم ، الطافحة بالحكمة فلا بد انك ستجتنب الكذابين ، وتصحب من الناس الصادقين ، فعلام اذاً التكذيب ؟ .

قال أبو محمد الحسن (ع) في صفة من تليق صحبته : (وان قلت صدَّق قولك) .

وقال ابو عبدالله الصادق (ع) : (ما بالكم يعادي بعضكم بعضا إذا بلغ احدكم عن أخيه شيء لا يعجبه **فليلقَه** وليسأله ، فان قال : لم افعله صدّقه ، وإن قال : قد فعلت استتابه) .

وقال ايضاً : (اذا بلغك عن اخيك شيء فقال : لم أقله فاقبل منه فانّ ذلك توبة له) .

وقال : (إذا بلغك عن اخيك شيء وشهد اربعون أنهّم سمعوه منه فقال : لم أقل فاقبل منه) .

وقال : (كذب سمعك وبصرك عن أخيك فان شهد عندك خمسون قسامة [1] ، انه قال ، وقال : لم اقل فصدقه وكذّبهم) .

١١ـ الاغضاء عن الاساءة

كل إنسان في الحياة معرض للأخطاء. تصدر عنه الزلات وتظهر منه العثرات لأنّ الكمال لله وحده، والعصمة للأصفياء من عباده وحدهم لا يشاركهم، ولا ينازعهم فيها منازع. أما الباقون من الناس فهم يذنبون ويسيئون ويخطؤون. وخيرهم أقلهم زللا، وأهونهم خطأ وخطلا الذين تُعدُّ هفواتهم، وتُحصر زلاتهم كما قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معائبه

فإذا بدرت من أخيك زلة، أو رأيت فيه عيباً، أو صدرت منه اساءة إليك. فلا تصبّ عليه لأول مرة وابلا من التقريع والتأنيب بل قابل ذلك بالصبر على ما تكره منه، والإغضاء عن هفوته، والصفح عن زلته. وحاول أن تستر عليه ما استطعت فإن الله يحب الساترين كما قال الإمام الصادق (ع) : (إذا رأيت من أخيك شحاً فاستر عليه).

---

(١) القسامة: الذين يقسمون ويحلفون على دعواهم.

ولا تحسب أنّ ذلك شذوذاً في صديقك يستحق عليه الهجران، أو مروقاً لا بد معه من القطيعة بل هي سنة الناس جميعاً.

ولو ألزمت نفسك أن لا تؤاخي إلاّ من لا عيب فيه يوشك أن تبقى بلا صديق كما قال الإمام الصادق (ع) : (ومن لم يؤاخ إلاّ من لا عيب فيه قل صديقه).

والواجب عليك في مثل هذه الحالات أن ترشد أخاك الى الصواب بالرفق، وتدله على مواضع خطأه بالمعروف، وعظه بالتي هي أحسن. وليكن ذلك بينك وبينه فإنّها أبلغ في التأثير وأجدر بالتقدير. فإذا قصرت في نصيحته، أو تركت تنبيهه على زلته اعتبرك الإسلام خائناً معه لم ترع حقه ولم تحفظ أخوته كما قال الإمام الصادق (ع) : (من رأى أخاه على أمر يكرهه ولم يردعه فقد خانه).

ويمكنك في مثل هذه الحالة أن تسمو إلى درجات الكمال النفسي فتقابل اساءته بالإحسان، وجفاءه بالوفاء فتكون بذلك من المقربين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾[1].

---

(١) سورة الرعد ٢٢.

وقال الإمام علي بن أبي طالب (ع) : (عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شره بالإنعام عليه). وقال: (أطع أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفاك).

وكثرة العتاب تورث البغضاء في النفوس كما قال سيد الحكماء علي (ع) يوصي ولده الحسن (ع): (واحتمل أخاك على ما فيه ولا تكثر العتاب فإنه يورث الضغينة ويجرّ إلى البغيضة). وقال: (من عاتب أخاه على كل ذنب كثر عدوه) وقال: (إحتمل زلة وليك لوقت وثبة عدوك).

وقال الإمام الهادي (ع) : (العتاب مفتاح التقالي[1]، والعتاب خير من الحقد).

لذلك اعتبر أهل البيت (ع) تتبع عثرات الصديق ومؤاخذته عليها وتعنيفه بها من أفظع الأعمال وأبغضها إلى الله.

قال رسول الله (ص): (من تتبع عثرات أخيه تتبع الله عثرته، ومن تتبع الله عثرته فضحه ولو في جوف بيته).

وقال الإمام الباقر (ع): (إنّ أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوماً ما).

---

(١) التقالي: التباغض.

وقال الإمام الصادق (ع) : (أبعد ما يكون العبد عند الله أن يكون الرجل يؤاخي الرجل ويحفظ عليه زلاته ليعيّره بها يوماً ما).

كما أنّهم (ع) اعتبروا نسيان الذنب والإغضاء عن الإساءة وذكر الجميل والإحسان من فضائل الصديق ومحامده فقال الإمام العسكري (ع) : (خير إخوانك من نسي ذنبك وذكر إحسانك إليه).

وقال امير المؤمنين (ع) : (عليك بمداراة الناس ، واكرام العلماء، والصفح عن زلات الاخوان).

وروى احمد بن الحسين كاتب ابي الغياض قال : حضرنا مجلس علي بن موسى الرضا (ع) فشكا رجل اخاه فأنشأ الرضا يقول :

اعذر أخاك على ذنوبهْ ... واستر وغطّ على عيوبه
واصبر على بهت السفيه [1] ... وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا ... وكل الظلوم الى حسيبه

وجاء في عيون اخبار الرضا مسنداً عن الامام الرضا (ع) انه قال:

(قال لي المأمون : هل رويت شيئاً من الشعر؟ قلت : رويت منه الكثير.

قال : فأنشدني ما رويته في السكوت عن الجاهل فقلت:

---

(١) بهت السفيه: أي بهتانه وافتراؤه وقذفه بالباطل.

اني ليهجرني الصديق تجنباً فأريه أنّ لهجره اسبابا
وأراه ان عاتبته اغريته فأرى له ترك العتاب عتابا
واذا ابتليت بجاهل متحلم يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابا

فقال المأمون: من قائله ؟ قلت : بعض فتياننا . قال : فأنشدني أحسن ما رويته في استجلاب العدو حتى يكون صديقاً فقلت:

وذي غلة سالمته فقهرته فأوقرته مني بعفو التحمل
ومن لا يدافع سيئات عدوه باحسانه لم يأخذ القول من علِ

ومن لم يصفح عن هفوات صديقه ، ولم يغض الطرف عن زلات أخيه يوشك أن لا يبقى له صديق محب واخ حميم لذلك قال بشار بن برد :

وكنت اذا الصديق أراد غيظي وأشرقني على حنق بريقي
غفرت ذنوبه وصفحت عنه مخافة ان أعيش بلا صديق

وقال الآخر

اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل اخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه

واذا أساء اليك صديقك ثم جاءك معتذراً فاقبل عذره فما مسيء من اعتذر ، وان ذلك من شيم الكرام كما قيل : «والعذر عند كرام الناس مقبول» لذلك قال امير المؤمنين (ع) : اقبل عذر أخيك ، وان لم يكن له عذر فالتمس له عذراً» . وقد اخذ هذا

المعنى مسلم بن وابصة فقال :

اذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن انت محتالا لزلته عذراً

وقال الآخر :

اذا اعتذر الصديق اليك يوماً من التقصير عذر أخ مقرّ
فصنه عن جفائك واعف عنه فان الصفح شيمة كل حرّ

وقال الآخر :

أتطلب صاحباً لا عيب فيه وأي الناس ليس له عيوب

بل حتى لو علمت بكذب من يعتذر اليك فعليك أن تقبل عذره كما قال أمير المؤمنين (ع) : (ولا يعتذر اليك احد الّا قبلت عذره وان علمت انه كاذب) .

١٢ـ ادخال السرور على الاصدقاء

كل فرد في الدنيا يحب ما يسره، ويألف الى الأشياء المفرحة التي تقر بها العين، ويبتهج منها القلب.

ولما كان الإنسان بطبيعته يحب ذلك فهو لا بد وان يحب من يأتيه بالمسرات، ويدخل عليه المبهجات. ولا بد وان يقدّر له حسن صنيعه معه. لذلك حث أهل البيت عليهم السلام على أن يسعى الأصدقاء إلى أن يدخل كل منهم السرور على الآخر ليزداد له حباً، وبه تعلقاً. واعتبروا ذلك من أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله.

فقال سيد الأنبياء (ص) : (أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك سروراً أو تقضي عنه ديناً).

وقال أيضاً : (إنَّ أحب الأعمال إلى الله تعالى إدخال السرور على المؤمن).

وقال أيضاً : (من لقي أخاه بما يسره ليسِّره سرّه الله يوم يلقاه).

وقال سيد الحكماء علي (ع) : (من أدخل السرور على أخيه المؤمن فقد أدخل السرور علينا أهل البيت، ومن أدخل السرور على أهل البيت فقد أدخل السرور على رسول الله، ومن أدخل السرور على رسول الله فقد سرّ الله، ومن سر الله كان حقاً على الله أن يسره ويسكنه جنته).

وقال الإمام الصادق (ع) : (من أدخل على أخيه سروراً أوصل ذلك والله إلى رسول الله (ص)، ومن أوصل سروراً إلى رسول الله (ص) أوصله إلى الله، ومن أوصل إلى الله حكمه الله والله يوم القيامة في الجنة).

وقال أيضاً في وصيته لعبد الله بن جندب : (يا ابن جندب من سره أن يزوجه الله من الحور العين، ويتوجه بالنور، فليدخل على أخيه المؤمن السرور).

وقال: (من فرّح مسلماً خلق الله ذلك الفرح صورة حسنة تقيه آفات الدنيا وأهوال الآخرة فتكون معه في الكفن والحشر والنشر حتى توقفه بين يدي الله فيقول له: من أنت فوالله لو اعطيتك الدنيا لما كانت عوضاً عما قمت لي به. فيقول: أنا الفرح الذي أدخلته على أخيك في دار الدنيا).

وبقدر ما يحب الله ادخال السرور على الأخ المؤمن يكره اساءته حتى قال رسول الله (ص): (من لقي أخاه بما يسوؤه اساءه الله وبعّده يوم القيامة).

وقال: (من لقي أخاه بما يسوؤه ليسوءَه أساءه بعد ما يلقاه). والتحدث مع الأصدقاء بما يسرهم يجلب إليك قلوبهم ومودتهم حتى خصص الأستاذ ديل كارنيجي بحثاً في كتابه «كيف تكسب الأصدقاء». تحت عنوان: «كيف يسر بك الناس» وبرهن فيه على أن التحدث مع الناس بما يسرهم من أهم العوامل في كسب الأصدقاء والتأثير فيهم ثم ختم بحثه هذا بهذه الكلمة الموجزة:

فإذا أردت أن يحبك الناس فاتبع القاعدة رقم «٥».

فتكلم فيما يسر محدثك ويلذ به.

١٣ـ نصرة الصديق

قلنا في حديث مضى إن الصديق هوشريك الحياة ، وهو الذي يجري في الانسان مجرى الروح في البدن فاذا كان كذلك فمن المحتّم على الانسان أن ينصر أخاه بيده ولسانه ، حاضراً كان أو غائبا ، فان فعل ذلك كان قد حفظ للصداقة حقها ، وللاخوة حرمتها لذلك ورد الحث عن أهل البيت الطاهر على نصرة الأخ لأخيه .

قال رسول الله (ص) : (من ردّ عن عرض أخيه المسلم وجبت له الجنة).

وقال ايضاً: (انصر أخاك ظالماً ومظلوماً) ومعنى ذلك : انك إذا رأيت اخاك ظالماً فمن حقه عليك أن تذهب اليه وتردعه عن ظلمه ، وإذا رأيته مظلوماً فمن حقه عليك ان تذهب اليه وتدفع عنه ظلامته فانك إن فعلت ذلك فقد نصرت اخاك ظالماًومظلوماً.

وقد سئل رسول الله (ص) : كيف ينصره ظالماً ؟ قال : (يمنعه من الظلم) .

وسئل الامام الحسين بن علي عليهما السلام عن «النجدة»فقال: (الاقدام على الكريهة ، والصبر عند النائبة ، والذب عن الاخوان).

وقال الامام الصادق (ع) : (ما من مؤمن يخذل أخاه المؤمن وهو يقدر على نصرته إلّا خذله الله في الدنيا والآخرة وان نصره كان افضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام) . لأنّ

خذلان الصديق والقعود عن نصرته من اقبح الصفات لذلك قال أمير المؤمنين (ع): (شر الاخوان الخاذل) .

وأروع مظاهر النصر التي تعرب عن عظيم الاخلاص ، وصدق الوفاء ورسوخ المحبة هو نصرة الصديق في حال غيبته لأنها تكون خالصة من التملق بعيدة عن الرياء . لذلك قال الرسول الاعظم (ص) : (من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة) .

ورد الغيبة عن الصديق نصر له لا محيص للانسان عنه فيجب عليه ردُّها دفاعا عنه ما استطاع الى ذلك من سبيل كما قال رسول الله (ص) :(من تطول على اخيه في غيبة سمعها في مجلس فردَّها عنه ردّ الله عنه الف باب من الشر في الدنيا والآخرة. وان هو لم يردها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة).

وقال الامام الصادق (ع) : (من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه ، نصره الله في الدنيا والآخرة ومن اغتيب عنده اخوه المؤمن فلم ينصره ولم يدفع عنه خفضه الله في الدنيا والآخرة) .

١٤ـ مواساة الصديق وقضاء حاجته

الحياة الدنيا معرض للحوادث والتقلبات ، والانسان فيها غرض لتلك الحوادث ، وهدف لتلك التقلبات . فكم من غني عاد فقيراً ، وكم من فقير صار غنياً ، وكم من رجل خامل

الذكر إصبح زعيماً تعنو له الوجوه ، وتخضع له الرقاب . وكم من عظيم نكبه الدهر حتى اصبح ذليلا لا شأن له بين الناس فالحياة إذاً لا تسير على خطة واحدة ، والانسان لا يبقى على شأن واحد هذه سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فالصديق الصادق هو ذلك الانسان الذي يشارك أخاه في تقلبات الدهر ويشاطره في افراحه واتراحه ، ويواسيه على ما يطرأ عليه وينزل به . فان كان في افراح ومسرات شاركه فيها وأظهر بشره وآنسه بتلك الافراح والمسرات . وان كان في شدة ونكبة اعانه على نكبته وسعى في انقاذه من شدته . وبهذا يميز الصديق من غيره ، وبه تنكشف حقيقة الأصدقاء ويظهر مدى اخلاصهم ووفائهم لذلك قال الامام علي (ع) : (في الشدة تتبيّن مودة الصديق) . وقال ايضاً : (في الضيق يظهر حسن مواساة الصديق) .

وقال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوي من صديقي

ولاخير في الصديق الذي يتغير بتغير الظروف ويتبدل كما تشاء ميوله وأهواؤه لذلك قال أمير المؤمنين (ع) :

ولا خير في ودّ امرىء متلوّن إذا الريح مالت مال حيث تميل

بل خير الاصدقاء من يثبت على المودة في الشدة والرخاء ، ويقيم على المحبة في السراء والضراء كما قال أمير المؤمنين

(ع): (اظهر الكرم صدق الاخاء في الشدة والرخاء) . وما أقل هؤلاء وما اندرهم كما قال الامام علي (ع):

وما اكثر الاخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

واولئك القليل هم الاصدقاء حقاً ، وهم الذين يجب على الانسان ـ لو ظفر بهم ـ أن يعتز بهم كل الاعتزاز ، ويحرص عليهم كل الحرص وهم يُعرفون عند الشدائد لذلك قيل لبعض الحكماء : بم يعرف الصديق ؟ قال : (بالشدائد لأن كل انسان في الرخاء صديق).

ولكن انّى للانسان أن يحصل على مثل هذا الصديق الثابت في مثل هذا العصر الذي اخبر عنه امامنا الصادق(ع) بقوله : (يأتي على الناس زمان ليس فيه شيء أعز من أخ أنيس ، أو كسب درهم من حلال).

والصديق الصالح يفيد أخاه في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فهو أنيسه عند الوحشة ، وعضيده عند الشدة ، وناصره على الاعداء . واما في الآخرة فهو شفيعه بين يدي ربه كما قال الامام الصادق (ع): (استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة) .

وقال ايضاً للفضل بن عبد الملك : (انما سمي المؤمن مؤمناً لأنه يؤمن على الله فيجير الله امانه ثم قال: اما سمعت الله تعالى يقول في اعدائكم اذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[1] .

---

(١) سورة الشعراء ١٠١ .

اما من صاحب قرين السوء فانه يندم في الدنيا والآخرة . اما في الدنيا فلسوء صحبته ، وفساد سيرته ، وخبث سريرته . وأما في الآخرة فيعض يده ندماً على مصاحبته ومتابعته وسيقول ﴿يا وَيْلَتىٰ لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَليلاً لَقَدْ أَضَلَّني عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَني﴾ (١) .

وقد حث أهل البيت (ع) على معاضدة الصديق ومؤازرته وندبوا الاصدقاء جميعاً الى مواساة بعضهم لبعض والى أن يقضي كل منهم حاجة الآخر ما استطاع الى ذلك سبيلا حتى تتمّ اخوّتهم ، وتتحقق صداقتهم .

قال رسول الله (ص) : (لئن أعين اخي المؤمن على حاجة أحب إليَّ من صيام شهر واعتكافه).

وقال ايضاً : (ثلاثة لا تطيقها هذه الأمة . المواساة للأخ في ماله . وانصاف الناس من نفسه ، وذكر الله تعالى على كل حال)

وقال : (ص) : (من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة إحداها الجنة . ومن كسى أخاه المؤمن من عري كساه الله من سندس الجنه واستبرقها وحريرها ، ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على المكسو منه سلك . ومن سقى اخاه من ظمإ سقاه الله من الرحيق المختوم . ومن اخدم أخاه اخدمه الله من الولدان المخلدين، واسكنه مع اوليائه الطاهرين. ومن حمل اخاه المؤمن على رحله حمله الله على ناقة من نوق

(١) سورة الفرقان ٢٨ .

الجنة، وباهى به الملائكة المقربين يوم القيامه . ومن زوج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها وتشد عضده ويستريح اليها زوجه الله من الحور العين ، وآنسه بمن أحبه من الصديقين من أهل بيت نبيه واخوانه وآنسهم به . ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر اعانه الله على جواز الصراط عند مزلة الاقدام . ومن زار أخاه المؤمن الى منزله لا لحاجة منه اليه كتب من زوار الله وكان حقيقاً على الله ان يكرم زائره) .

ومواساة الاصدقاء والاحسان اليهم وقضاء حاجتهم تملأ نفوسهم حباً ، وتبعث فيهم المودة والاخوّة لأنّ الانسان مجبول على حب من اسدى اليه يداً ، أو صنع معه معروفاً كما قال رسول الانسانية الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : (جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ، وبغض من أساء اليها) .

وقال (ص) : (قال الله تعالى : المؤمنون اخوة يقضي بعضهم حوائج بعض واقضي حوائجهم يوم القيامة) .

وصوّر رسول الله (ص) تلك الرابطة الأكيدة التي وصلت الأصدقاء بعضهم ببعض ودفعت كلاً منهم الى مشاركة أخيه في مسراته ونكباته بتلك الكلمة الخالدة : (مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وقال الامام علي بن أبي طالب (ع) : (لا تعدّن صديقاً من لم يواس بماله).

وقال : (لعشرون درهما اعطيها أخي في الله احب إليّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين) .

وقال : (عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه فيملكهم).

وقال : (يا سبحان الله ما ازهد كثيراً من الناس في الخير عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا. فلو كنا لا نرجو جنة، ولانخاف ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً ، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فانها تدل على سبيل النجاة)

وسئل الامام الحسن (ع) : ما الإخاء؟ فقال : (المواساة في الشدة والرخاء) فقيل له : ما الجبن ؟ فقال : (الجرأة على الصديق والنكول عن العدو) .

وقال الامام الحسين (ع) : (من تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً ، ومن أراد الله بالصنيعة الى أخيه كافأه بها في وقت حاجته ، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو اكثر منه) .

وقال الامام زين العابدين (ع) : (اني لاستحي من ربي أن أرى الاخ من اخواني فأسأل الله له الجنة وابخل عليه بالدينار والدرهم فاذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الجنة لك لكنت بها ابخل وابخل وابخل).

وقال الامام محمد بن علي الباقر (ع) : (تنافسوا في المعروف لاخوانكم وكونوا من اهله فان للجنة باباً يقال له

«المعروف» لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياةالدنيا فان العبد ليمشي في حاجة اخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين واحداً عن يمينه وآخر عن شماله يستغفران له ربه ويدعوان بقضاء حاجته).

وروي عن ابي اسماعيل الوصافي قال : قال لي ابو جعفر الباقر (ع) : (يا أبا اسماعيل ارأيت فيما قِبَلكم اذا كان الرجل ليس له رداء وعند بعض اخوانه فضل رداء يطرح عليه حتى يصيب رداء ؟) قال : قلت «لا» قال : (فاذا كان ليس عنده ازار يوصل اليه بعض اخوانه بفضل ازار حتى يصيب ازاراً ؟) قلت «لا» فضرب بيده على فخذه وقال : (ما هؤلاء باخوة) .

وقال (ع) : (ايما مؤمن أتى اخاه في حاجة فانما ذلك رحمة من الله ساقها اليه وسببها له . فان قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها . وان ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها فانما ردّ عن نفسه رحمة من الله عز وجل ساقها اليه وسببها له) .

وقال : (لئن امشي في حاجة اخ لي مسلم أحب الي من أن اعتق الف نسمة ، وأحمل في سبيل الله على الف فرس مسرجة ملجمة) .

وقال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) : (من صالح الاعمال البر بالاخوان والسعي في حوائجهم) .

وقال (ع) : (من عرقت جبهته في حاجة أخيه في الله عز وجل لم يعذب بعد ذلك).

وقال (ع) : (فوالله لا تُنال شفاعتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الاخوان) .

وقال (ع) : (الاخوان ثلاثة مواسٍ بنفسه، وآخر بماله ، وهما الصادقان في الاخاء ، والآخر يأخذ منك البلغة ويريدك لبعض اللذة فلا تعدَّه من أهل الثقة) .

وعن المفضل بن عمر قال : قال ابو عبدالله الصادق (ع) : (اختبر شيعَتنا في خصلتين فان كانتا فيهم وإلا فاعزب ثم اعزب[1] قلت : وما هما ؟ قال : (المحافظة على الصلوات في مواقيتهن ، والمواساة للاخوان وان كان الشيء قليلا) .

وقال : (من ذهب مع أخيه في حاجة قضاها او لم يقضها كان كمن عبد الله) .

وقال للمفضل بن عمر : (يا مفضل اسمع ما أقول لك واعلم انه الحق واتبعه واخبر به علية اخوانك) قلت : وما علية اخواني . قال الراغبون في قضاء حوائج اخوانهم) ثم قال : (من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له يوم القيامة مائة الف حاجة من اول ذلك الجنة ومن ذلك أن يدخل له قرابته ومعارفه واخوانه الجنة).

وقال : (من سعى في حاجة أخيه المسلم فاجتهد فيها فأجرى الله قضاءها على يديه كتب الله له حجة وعمرة واعتكاف شهرين

---

(١) اعزب ثم اعزب: ابتعد ثم ابتعد.

في المسجد الحرام وصيامهما فان اجتهد فلم يجر الله قضاها على يديه كتب الله له حجة وعمرة) .

وقال : (من سأله اخوه المؤمن حاجة من ضر فمنعه من سعة وهو يقدر عليها من عنده أو من عند غيره حشره الله يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه) .

وقال الامام موسى بن جعفر (ع) : (خير اخوانك المعين لك على دهرك) .

وقال الامام الحسن العسكري(ع) : (خصلتان ليس فوقهما شيء **الإيمان** بالله ونفع الاخوان) .

ومن واجب الأخوة أن تبدأ اخاك بقضاء حاجته ان علمت بها ولا تلجئه الى أن يسألك قضاءها كما قال امير المؤمنين (ع) : (لا يكلف احدكم اخاه الطلب اذا عرف حاجته) .

وقال الامام الصادق (ع) : (وإذا علمت أن لأخيك حاجة فبادر الى قضائها لا تلجئه الى أن يسألكها ولكن بادره مبادرة) .

١٥- اكرام الصديق واعظامه

من الامور المسلمة التي لا تقبل الشك ولا الرد ان الانسان اذا احترم غيره احترم، واذا اهان غيره أُهين . ولقد ابدع الشاعر بقوله :

ومن هاب الرجال تهيّبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

فاذا اردت ان تعظم في عين صديقك فعظّمه، واذا اردت ان

تكون مكرّماً عنده فأكرمه. وأي الناس لا يحب أن يكون معظماً ومكرماً ؟ .

لذلك وردت الأوامر عن أهل البيت عليهم السلام في لزوم اجلال الصديق واحترامه ، لتتوثق بينهم الروابط ، وتصفو بينهم القلوب ، ويزداد بينهم الوداد .

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه : سمعت رسول الله (ص) يقول (مامن رجل اكرم اخاه المسلم بتكرمة يريد بها وجه الله إلا نظر الله اليه) .

وقال (ص) : (من أتاه أخوه المسلم فأكرمه فانما اكرم الله عز وجل) .

وقال الامام الباقر (ع) في بيان ما يجب على المسلم ان يفعله مع أخيه : (وإن غاب فاحفظه في غيبته ، وان شهد فزره وأجلّه وأكرمه فانك منه وهو منك) .

وقال الامام الصادق (ع) : (من عظم دين الله عظم حق إخوانه).

لذلك لا يحسن للاصدقاء ان يخلعوا عن انفسهم كل جلابيب الحشمة فانّ خلعها يدفعهم الى ترك الاحترام والاكرام .

قال الامام الكاظم (ع) : (لاتذهب الحشمة فيما بينك وبين أخيك وأبق منها فان ذهابها ذهاب الحياء) . والمراد بذلك هو الافراط في عدم الاحتشام والإحترام ولذلك قال وأبق منها) ولم يقل

(وابقها) وإلّا فالتكلف والاحتشام التام بين الاصدقاء مذموم في نظر أهل البيت كما سنتكلم عنه في البحوث الآتية .

وإذا كان صديقك اكبر منك سناً ، او اكثر منك علماً فعليك باجلاله وتعظيمه فان ذلك حق له يجب عليك ان ترعاه ، **وحدٌّ** بينك وبينه يلزمك أن لا تتعداه فقد جاء عن النبي (ص) انه قال : (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا) . وتدبر وصية الامام ابي عبدالله الصادق(ع) :(ذلل نفسك لاحتمال من خالفك ممن هو فوقك ، وممن له الفضل عليك فانما اقررت بفضله لئلا تخالفه ، ومن لا يعرف لأحد الفضل فهو المعجب برأيه) .

واياك والاستخفاف بصديقك والاستهانة به فذلك من اعظم مقوضات الاخوة ، ومهدمات الصداقة وقد عدها اهل البيت (ع) من الذنوب العظام .

فقال الامام الصادق (ع) :(من استخف بدينه استخف باخوانه) .

وقال ايضاً : (العاقل لا يستخف بأحد ، واحق من لا يستخف به ثلاثة : العلماء والسلطان ، والاخوان . لأنه من استخف بالعلماء أذهب دينه ، ومن استخف بالسلطان اذهب دنياه ، ومن استخف بالاخوان أذهب مروءته) .

وقال : (من غش اخاه وحقره وناواه ، جعل الله النار مأواه) .

وكما انك تحب ان تكون محترماً معظماً فالواجب يحتم عليك ان تحترم اخاك وتعظمه تطبيقاً للمبدإ الاسلامي العظيم الذي نطق به الرسول الكريم :

(لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه) .

ويقول ديل كارنيجي في كتابه «كيف تكسب الأصدقاء» : (انت تريد استحسان الناس لك ، وتريد اعترافاً بقدرك وقيمتك، وتتعطش الى ان تكون ذا شأن في دنياك الصغيرة ، وتأبى أن تستمع الى مداهنة رخيصة او تملق مجرد من الاخلاص . وانما تبغي تقديراً مخلصاً وترغب ان يكون اصدقاؤك ومعارفك على حد قول «شواب» : مسرفين في تقديرهم لك ،مبذرين في مديحهم اياك- كلنا يريد ذلك... فدعنا اذاً نتبع هذا المبدأالذهبي : نمنح الآخرين ما نحب أن نُمنَحه) .

هذا ما ذكره ديل كارنيجي واتى على كثير من الحوادث والوقائع التي تؤيد نجاح هذا المبدإ الرفيع الذي اعتبره الاسلام من أهم اسسه التي صرح بها نبي الاسلام محمدبن عبد الله (ص) بقوله :

(لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه)

واوضح ذلك حكيم الاسلام علي‌بن ابي طالب (ع) في وصيته لولده الامام الحسن(ع) :

(يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك.. فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا

تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن اليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لاتعلم وان قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك) .

١٦- الايثار

وهذه درجة لا يصل اليها الاّ الذين صبروا ولا يُلقّاها إلاّ ذو حظ عظيم . وهي ارفع منازل الاخوة ، واسمى درجات الصداقة التي قد لا يجد الانسان انساناً يعمل بها في مثل هذا الزمان الذي قلّ فيه من يعمل بالحديث النبوي المشهور : (لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه) فكيف بالايثار ؟ وهو ان يقدم اخاه على نفسه ، ويؤثر مصلحته على مصلحته وحاجته على حاجته .

ولقد صوّر لنا الامام علي بن أبي طالب (ع) الايثار بأروع صوره وأظهره بأجمل مظاهره في هذين البيتين الرائعين:

ان اخاك الحق من كان معك ومن يضرُّ نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك شتّت فيك شمله ليجمعك

وقال ايضا: (ذلّلوا اخلاقكم بالمحاسن، وقودوها الى المكارم، وعوّدوها الحلم، واصبروا على الايثار على انفسكم) .

وقال ايضا: (المؤمنون اخوة ولا شيء آثر عند كل اخ من اخيه) .

وقال الامام الباقر (ع) : (ان لله جنة لا يدخلها الاّ ثلاثة : رجل حكم على نفسه بالحق ، ورجل زار اخاه المؤمن في الله ، ورجل آثر اخاه المؤمن في الله) .

ولعل اروع صورة يرويها لنا التاريخ عن الايثار ماذكره الشيخ الغزالي في احياء العلوم وهي : مبيت الامام علي بن ابي طالب (ع) على فراش رسول الله (ص) ليلة هجرته ، يفديه بنفسه ، ويقيه بمهجته . فأوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل : (اني آخيت بينكما ، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة) . فاختار كل واحد منهما الحياة **وأحّباها** . فأوحى الله عز وجل اليهما : (أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب . آخيت بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة. اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه) . فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه . وجبرئيل يقول: (بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله يباهي بك الملائكة) فأنزل الله في علي (ع): ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رؤوفٌ بالْعِبَادِ﴾[1] .

ومن مظاهر الايثار الرائعة ما روي عن رجل من اصحاب رسول الله (ص) وقد اهدي له رأس شاة مشويّ فقال : ان اخي فلاناً عياله حوج الى هذا مني فبعثه اليه . فلما اخذها هذا قال ايضاً : ان اخي فلاناً احوج اليه مني فبعثه اليه . وهكذا يؤثر كل

---

(١) سورة البقرة ٢٠٧

واحد منهم صاحباً له على نفسه حتى تداول بها سبعة من البيوت} ثم رجعت الى صاحبها الاول فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ﴾ (١) .

١٧ـ النصيحة

وهي من اعظم لوازم المحبة ، واهم مقومات المودة . فلم تتم صداقة، ولا تنعقد اخوة ، ما لم تكن النصيحة رائدها وباعثها . ومن لم يكن ناصحاً لأخيه فليس بأخ .

واذا رأيت من اخيك نقصاً أو عيباً فحاول بكل رفق ولطف ان تدلّه على نقصه ، وتوقفه على عيبه حتى يُتمَّ ذلك النقص ، ويزيل ذلك العيب فتكون بذلك قد اسديت اليه جميلا تستحق عليه منه جزيل الشكر.

واعلم أنك إن أهملت القيام بنصحه وارشاده فأنت مسؤول عنه يوم القيامة كما قال رسول الله(ص) : (ما من مؤمن صاحب صاحباً إلّا وهو مسؤول عنه يوم القيامة ولو ساعة من نهار) .

وليكن نصحك له سراً فانه اوقع في نفسه ، اما النصيحة في العلن فقد تؤثر فيه عكس ما كنت ترجوه فيه ، وتأمله منه لذلك قال امامنا العسكري (ع) : (من وعظ أخاه سراً فقد زانه ، ومن وعظه علانية فقد شانه) .

---

(١) سورة الحشر ٩ .

واعلم أنّ أوفى أصدقائك لك ، واكثرهم حباً اياك ، وأصدقهم في الاخاء هو الذي يلمسك مواضع العيب في نفسك ، ويدلك على نقاط الضعف في شخصك حتى تستطيع أن تهذب نفسك، وتتلافى اخطاءك كما قال رسول الله (ص) : (خير اخوانك من يصدقك النصيحة ، ويزينك في المحافل ، وينصرك على عدوك).

ولا خير في صديق لا يرشد اخاه ان اخطأ ، ولا ينصحه ان اساء فالعدو خير من هذا الصديق كما قال امام الحكماء علي بن ابي طالب (ع) : (عدو الرجل قد يكون خيراً من صديقه لأنّه يهديه الى عيوبه فيجتنبها) وخير من ذلك ان يكون صديقك مثالا للصلاح والرشاد فتكون سيرته لك درساً عملياً تستفيد منه في حياتك ، وتقتدي به في سيرتك كما قال الامام علي (ع) : (اخوك الذي يعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه) .

وقال سقراط : (مما يدل على عقل صديقك ونصيحته انه يدلك على عيوبك ، وينفيها عنك ، ويعظك بالحسنى ، ويتعظ بها منك ، ويزجرك عن السيئة وينزجر عنها لك) .

وقال الامام الصادق (ع) : (احب اخواني اليَّ من اهدى اليّ عيوبي وقد حث أهل البيت على هذا الأمر واعتبروه الركن الذي تعتمد عليه الاخوة الصحيحة فقال رسول الله (ص) : (المؤمن اخو المؤمن لا يدع نصيحته على كل حال) .

وقال الامام الباقر (ع) : (يحق على المؤمن للمؤمن النصيحة) .

وقال الامام الصادق (ع) : (من مشى في حاجة اخيه المؤمن فلم يناصحه فقد خان الله ورسوله) .

واذا استشارك اخوك فأشر عليه مخلصاً ، واجتهد في نصيحته واياك ان تقصر فيها فيسخط الله عليك كما قال رسول الله (ص) : (من استشاره اخوه المسلم فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبه) .

وقال الامام الصادق (ع) : (من استشار اخاه فلم ينصحه محض الرأي سلبه الله عز وجل رأيه) .

واعلم ان له عليك حقاً قد بيّنه لك الامام زين العابدين (ع) بقوله : (واما حق المستشير فان حضرك له وجه رأي جهدت له في النصيحة وأشرت عليه بما تعلم انك لو كنت مكانه عملت بـه. وليكن ذلـك منـك في رحمـة ولـين فـان الـلين يؤنس الوحشة ، وان الغلظ يوحش موضوع الانس ، وان لم يحضرك له رأي وعرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك دللته عليه ، وأرشدته اليه فكنت لم تؤله خيراً ولم تدخره نصحاً) .

واذا أشار عليك أخوك بشيء تدفعه الى ذلك مودته ومحبته فتقبل مشورته واشكره عليهاأجزل الشكر، وضع نصب عينيك أن النصيحة والمشورة أثمن ما يقدمه أخ لأخ وأعز ما يدخره صديق لصديق كما قال الرسول الكريم (ص) : (ما أهدى المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى أو ترده عن ردى) . وتدبر وصية الامام موسى بن جعفر (ع): (ومشاورة العاقل

الناصح يمن وبركة ورشد وتوفيق من الله. فاذا أشار عليك العاقل الناصح فإياك والخلاف فان في ذلك العطب [1]).

واعلم أن لهذا المشير حقاً أيضا ذكره الامام زين العابدين (ع) بقوله: (وأما حق المشير عليك فلا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه إذا أشار عليك فانما هي الآراء، وتصرف الناس فيها واختلافهم فكن عليه في رأيه بالخيار اذا اتهمت رأيه. فاما تهمته فلا تجوز لك إذا كان عندك ممن يستحق المشاورة. فاذا وافقك حمدت الله وقبلت ذلك من أخيك بالشكر والارصاد بالمكافأة في مثلها إن فزع اليك).

ولا تشاور كل احد فتقع في المهالك، بل لا تشاور الا من كان أهلا للمشورة، وتوفرت فيه هذه الصفات التي ذكرها الامام الصادق (ع) بقوله: (إنّ المشورة لا تكون الا بحدودها فمن عرفها بحدودها والا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها.

فأولها: أن يكون الذي تشاوره عاقلا.

والثانية: أن يكون حرا متدينا.

والثالثة: أن يكون صديقا مؤاخيا.

والرابعة: أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يسر لك ويكتمه.

---

(١) العطب: الهلاك.

فانه اذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، واذا كان حرا متدينا أجهد في النصيحة لك، واذا كان صديقا مؤاخيا كتم سرك اذا اطلعته عليه، واذا أطلعته على سرك فكان علمه به كعلمك به تمت المشورة، وكملت النصيحة).

فاذا كان أخوك يتمتع بمثل هذه الصفات، وتتوفر فيه هذه الشروط فلا ضير عليك لو فزعت اليه عند اشتداد الأمور واشتباكها فهو حقيق بالاستعانة، وحري بالثقة، وجدير بالاستشارة كما قال الامام الصادق (ع): (اذا نزلت بك نازلة فلا تشكها الى أحد من أهل الخلاف ولكن اذكرها لبعض إخوانك فانك لم تعدم خصلة من أربع خصال: إما كفاية، وإما معونة بجاه، أو دعوة مستجابة، أو مشورة برأي).

واذا استنصحك أخوك فلا تقصر في نصحه وارشاده بل عليك أن تنصحه كما تنصح نفسك، وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لها كما قال رسول الله (ص): (لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه).

وقال أمير المؤمنين (ع): (من استنصحك فلا تغشه).

واعلم أنّ للمستنصح عليه حقاً قد بينه لنا الامام زين العابدين (ع) بقوله: (وأما حق المستنصح فأن تؤدي اليه النصيحة، وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله، فانّ لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه وليكن مذهبك الرحمة).

وقال أمير المؤمنين (ع)(امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة، ساعده على كل حال، وزل معه حيث زال).

واذا نصحك أخوك فوجه اليه سمعك وقلبك فان هذا هو الصديق الصادق، وحاول أن تريه سرورك بنصيحته، وقبولك لكلامه، واشكره على ذلك بأحسن الشكر وأطيبه قولا وعملا كما قال أمير المؤمنين (ع): (اقبل النصيحة ممن نصحك، وتلقّها بالطاعة ممن حملها اليك).

وثق بأنك بأمس الحاجة الى الصديق الناصح والخليل المرشد كما قال رسول الله (ص): (من لم يكن له واعظ من قلبه، وزاجر من نفسه، ولم يكن له قرين مرشد استمكن عدوه من عنقه).

وقال الامام الجواد (ع): (المؤمن يحتاج الى ثلاث خصال: توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه).

واعلم أن للناصح حقاً أيضاً قد أوضحه لنا الامام زين العابدين بقوله: (وأما حق الناصح فان تلين له جناحك، ثم تشرئب له قلبك، وتفتح له سمعك حتى تفهم عنه نصيحته. ثم تنظر فيها فان كان وُفِّق لها والا رحمته ولم تتهمه وعلمت انه لم يألك نصحا إلا انه أخطأ. إلا أن يكون عندك مستحقاً للتهمة فلا تعبأ بشيء من أمره على كل حال).

ومخالفة الناصح الشفيق الصادق في اخوّته، والمخلص في

نصيحته تورث الحسرة والندامة كما قال سيدنا الامام علي بن أبي طالب (ع): (فان معصية الناصح الشفيق، العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة).

وقال سيدنا الامام موسى بن جعفر (ع): (واذا أشار عليك العاقل الناصح فاياك والخلاف فان في ذلك العطب).

١٨- إخبار الصديق بحبه اياه

أرأيت لو جاءك صاحبك وقال لك: «اني أحبك كثيرا» وعلمت انه صادق في قوله، أفلا تجد في نفسك ارتياحا لقوله، وابتهاجاً بكلمته؟ نعم لا شك أنك تجد ذلك في نفسك، وتجد أن حبك اياه قد ازداد، ومودتك له قد عظمت فهو -اذاً- من مقومات الصداقة لذلك نرى أهل البيت (ع) قد ألفتوا أنظار الناس الى هذا الأمر الهام الذي يقارب بين القلوب، ويمزج بين الأرواح.

قال الرسول الأعظم (ص): (إذا أحب أحدكم أحداً فليخبره).

وقال أيضا: (من ذب عن عرض أخيه كان ذلك حجاباً له من النار، ومن كان لأخيه المسلم في قلبه مودة ولم يعلمه فقد خانه).

وقد ذكر ديل كارنيجي في كتابه «كيف تكسب الأصدقاء» كلمة «لنكولن»: (ثمة مثل قديم يقول إن نقطة العسل تصيد من الذباب أكثر مما يصيد برميل من العلقم. وكذلك الحال مع البشر... اذا أردت أن تكسب رجلا الى **جانبك فأقنعه** أولا بأنك

صديقه المخلص فهذه نقطة من العسل تصيد قلبه. وتلك وحدها هي الطريق المؤدية الى قلب الرجل).

١٩- الدعاء للصديق

ليس أدل على صدق المرء في محبته ومودته، واخلاصه في اخوته وصداقته من الدعاء لأخيه وطلب الخير والتوفيق له من الله سبحانه وتعالى لأن الدعاء معاقدة خاصة بين العبد وربه، وصلة سرية بين المخلوق وخالقه لا يطلع عليها أحد غيره. ولو اطلع عليه أخوه كان ذلك آية الاخلاص، وعلامة الوداد لأنه دليل على صدق الأخوة في الظاهر والباطن كما قال أمير المؤمنين (ع): (الصديق من صدق غيبه).

ودعوة الأخ لأخيه مستجابة لأنها تنبعث عن قلب صادق في دعوته، مخلص في طلبته والله سبحانه يجيب دعوة الصادقين ويحقق رجاء المخلصين كما قال رسول الله (ص): (يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه).

وقال أيضا: (دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد).

واذا دعا الداعي لأخيه أعطاه الله مثل ما طلب لأخيه تفضلا منه وكرماً كما قال رسول الله (ص): (اذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك).

وقال أبو عبد الله الصادق (ع): (أربعة لاترد لهم دعوة... الامام العادل لرعيته، والأخ لأخيه بظهر الغيب يوكل به ملك

يقول ولك مثل ما دعوت لأخيك، والوالد لولده، والمظلوم يقول الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي لأنتصرن لك ولو بعد حين).

وقال أيضا: (من دعا لأخيه المؤمن دفع الله عنه البلاء ودر عليه الرزق).

٢٠ـ اجتماع الأصدقاء وتلاقيهم

لعل من أسعد ساعات الحياة هي تلك الساعة التي يجتمع فيها الانسان مع اصدقائه واحبائه يتجاذب معهم اطراف الحديث في امور مختلفة ومواضيع شتى.

ومثل هذه الاجتماعات تعود عليهم بالفوائد العظيمة حيث يتذاكرون بينهم فيما يصلح شؤونهم ، وينظم امورهم. فيشير كل منهم على صاحبه وينصح كل منهم أخاه، ويعلم عالمهم جاهلهم، ويساعد غنيهم فقيرهم ويعين قويهم ضعيفهم فتزداد بينهم الإلفة، وتتضاعف فيما بينهم المحبة لذلك نرى أهل البيت قد أمروا بمثل هذه المجالس وحببوا للاصدقاء الاجتماع والتلاقي.

فقال رسول الله(ص) : (مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الأُخرى. ما التقى المؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا).

وقال ابو جعفر الباقر(ع): (اجتمعوا وتذاكروا تحفّ بكم الملائكة رحم الله من أحيا امرنا).

وقال ابو عبد الله الصادق (ع): (اتقوا الله وكونوا اخواناً بررة، متحابين في الله، متواصلين، متراحمين. تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا واحيوه).

وعن خيثمة قال: دخلت على ابي عبدالله (ع) لاودعه وانا أريد الشخوص فقال: (أبلغ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأوصهم أن يعود غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم فان في لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا).

وقال أيضا: (ايما ثلاثة مؤمنين اجتمعوا عند أخ لهم يأمنون بوائقه، ولا يخافون غوائله [1]، ويرجون ما عنده. ان دعوا الله أجابهم، وان سألوه أعطاهم، وان استزادوا زادهم، وان سكتوا ابتدأهم).

وقال الامام موسى بن جعفر (ع): (اجتهدوا أن يكون زمانكم أربع ساعات. ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقاة الذين يعرّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن الخ...).

وعن ميسر قال قال لي أبو جعفر الثاني ـ الامام الجواد ـ:

---

١) بوائقه وغوائله: أي شره وأذاه.

(أتخلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم؟) فقلت: إي والله لنخلو ونتحدث ونقول ما شئنا. فقال: (أما والله لوددت أني معكم في بعض تلك المواطن أما والله اني لأحب ريحكم وأرواحكم، وانكم على دين الله، ودين ملائكته، فأعينونا بورع واجتهاد).

ولكثرة اهتمام الاسلام باجتماع الإخوان وتلاقيهم جعل النظر الى وجه الأخ عبادة ليكون ذلك دافعاً للأصدقاء على التقارب والاجتماع لينظر بعضهم الى بعض -على الأقل- فيؤدون بذلك عبادة لله سبحانه لذلك قال الامام زين العابدين (ع): (نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة عبادة).

٢١- مقابلة الحسنة بالثناء والتقدير

إذا رأيت صديقك- بل كل انسان- قد قام بعمل طيب، أو قدم لك مساعدة، أو أسدى اليك جميلا فلا تبخل عليه بالشكر على احسانه، او الثناء على حسن عمله، أو التقدير لمواهبه، فان ذلك يبعث في نفسه أطيب المشاعر نحوك ويعتبر تقديرك هذا يداً اسديتها اليه تستحق عليها الشكر والمكافأة.

ولو اتفق الأصدقاء جميعا على أن يشكر كل منهم الآخر، ويقدر كل منهم أعمال صاحبه لتضاعفت المحبة بينهم ولتقدموا في ميدان العمل والنشاط. لأن التقدير والتشجيع أعظم باعث للتقدم، واكبر مساعد على التكامل والارتقاء.

يقول ديل كارنيجي في كتابه «كيف تكسب الاصدقاء»:

(فلنحاول إذاً أن نعدد الصفات الطيبة في كل إنسان نلقاه. إنس الملق، وامنح تقديرك المخلص المنزه، كن مبذراً في مديحك، مسرفاً في تقديرك يدخر الناس كلماتك ويكررونها سنوات طوالا حتى بعد أن تنساها أنت).

ويقول ايضاً: (اذ كل رجل تلقاه يشعر انه احسن منك في ناحية ما ـ على **الأقل** ـ وليس هناك الا سبيل واحد يفضي بك الى قلبه ذلك هو أن تشعره بطريقة مباشرة انك تعترف بأهميته، وانك تعترف بذلك في اخلاص. تذكر قول «ايمرسون»: كل شخص ألقاه يفوقني في ناحية واحدة ـ على **الأقل** ـ وفي هذه الناحية ـ يمكن أن آخذ عنه **وأتعلّم** منه).

ثم يختم بحثه بقوله:

فاذا كنت تريد أن يحبك الناس فاتبع القاعدة رقم «٦»:

اسبغ التقدير المخلص على الشخص الآخر واجعله يشعر بأهميته.

ويقول: فلكي تسلس قياد الناس دون أن تسيء إليهم أو تستثير عنادهم إليك القاعدة رقم «١».

ابدأ بالثناء المستطاب والتقدير المخلص.

هذا ما ذكره ديل كارنيجي في تقدير الانسان لغيره، وثنائه على ما يقوم به غيره من اعمال وأقوال يستحق عليها الثناء والتقدير.

واليك الآن ما جاء عن أهل البيت (ع) في هذا الموضوع لتعلم انهم لم يَدَعوا باباً إلا وولجوه، ولا أمراً هاماً له الأثر في سعادة المجتمع إلاّ وطرقوه.

قال حكيم الامة وأبو الائمة علي بن ابي طالب (ع) يوصي مالك الاشتر حين ولاه مصر: (واخصص أهل النجدة في أملهم الى منتهى غاية آمالك من النصيحة بالبذل، وحسن الثناء عليهم، ولطيف التعهد لهم رجلاً رجلاً، وما ابلى في كل مشهد فإن كثرة الذكر منك لحسن فعالهم تهزّ الشجاع وتحرض الناكل).

وقال الامام الحسن الزكي (ع) يصف الصاحب الصالح: (وإن رأى منك حسنة عدّها).

وروي عن الامام الباقر (ع) قال: دخل محمد بن شهاب الزهري على علي بن الحسين زين العابدين (ع) وهو كئيب حزين فقال له زين العابدين: (ما بالك مهموماً مغموماً؟) فقال: يا ابن رسول الله هموم وغموم تتوالى عليّ لما امتحنت به من حساده نعمي والطامعين فيّ وممّن أرجوه وممّن أحسنت اليه، فتخلف ظني.

فقال له علي بن الحسين (ع): (احفظ عليك لسانك تملك به اخوانك) قال الزهري: يا ابن رسول الله اني احسن اليهم بما يبذر [1] من كلامي. فقال علي بن الحسين: (هيهات اياك أن

(١) بذر الكلام: أفشاؤه ونشره.

تعجب من نفسك بذلك، واياك أن تتكلم بما يسبق القلوب انكاره، وان كان عندك اعتذاره. فليس كل من تسمعه نكراً يمكنك ان توسعه عذراً يا زهري: من لم يكن عقله من اكمل ما فيه كان هلاكه من ايسر ما فيه يا زهري: ان عليك ان تجعل المسلمين بمنزلة اهل بيتك فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك، وتجعل تربك منهم بمنزلة اخيك... فأي هؤلاء تحب ان تظلم؟ وأيّ هؤلاء تحب أن تدعو عليه؟! وأي هؤلاء تحب ان تهتك ستره؟! فان عرض لك ابليس «لعنه الله» بأن لك فضلاً على أحد من أهل القبلة فانظر ان كان اكبر منك سناً فقل: قد سبقني الى الايمان والعمل الصالح فهو خير مني، وان كان اصغر منك فقل: سبقته الى المعاصي والذنوب فهو خير مني، وان كان تربك فقل: انا على يقين من ذنبي وشك من امره فمالي ادع يقيني لشكي! وان رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويبجلونك فقل: هذا فضل اخذوا به، وان أنت رأيت منهم جفاء وانقباضاً عنك فقل: هذا ذنب احدثتُه فانك اذا فعلت ذلك سهل عليك عيشك، وكثر اصدقاؤك، وقلّ اعداؤك، وفرحت بما يكون من برّهم، ولم تأسف على ما يكون من جفائهم، واعلم أنّ اكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فائضاً، وكان عنهم مستغنياً متعففاً).

وقال الامام الصادق (ع) يصف الرجل المؤمن: (لا يلقى احداً الا قال: هو خير مني وأتقى. انما الناس رجلان رجل خير منه واتقى. ورجل شر منه وأدنى قال: فاذا لقي الذي هوخير منه

تواضع له ليلحق به ، واذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال : لعل شر هذا ظاهر وخيره باطن . فاذا فعل ذلك علا وساد أهل زمانه).

وقال الامام الحسن العسكري (ع) : (خير اخوانك من نسي ذنبك وذكر احسانك اليه).

بل حتى لوعلمت ان اخاك يضمر لك في قلبه خيراً ولو لم يعمل شيئاً في سبيل ذلك فعليك أن تقابل نيّته بالحمد والثناء لأن من تهاون في شكر النية قد يتهاون في شكر الفعل ايضاً لذلك قال أمير المؤمنين (ع): (من لم يحمد أخاه على حسن النيّة لم يحمده على حسن الصنيعة).

ويرى أهل البيت ان اسداء المعروف الى من لا يشكره عليه تضييع له، كما ان المودة اذا منحت لمن لا وفاء له فهو تضييع لها ايضا كما قال الامام الصادق (ع): (أربعة تذهب ضياعاً . . . مودة تمنحها من لا وفاء له، ومعروف عند من لا شكر له وعلم عند من لا استماع له، وسر تودعه من لا حصانة له).

نعم اذا غالى الانسان في مديحه ، وأفرط في ثنائه وأعطى الممدوح اكثر مما يستحق كان ذلك تملقاً ذميما. واذا قصَّر في الثناء وأعطاه أقل مما يستحق كان ذلك اجحافاً بحقه لذلك قال الامام الاكبر علي بن ابي طالب(ع): (الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد).

٢٢ـ مقابلة الاساءة بالاحسان

هذه صفة عالية تعدّ من أعظم المواهب، وأسمى الملكات التي لايتصف بها الاّ الطبقة العليا من الناس الذين زكت نفوسهم، وطهرت قلوبهم. وأثرها في النفوس عظيم جداً. فهي من أهم مقومات المودة والاخوة، واكبر عوامل التآلف والتعارف، واعظم بواعث التحابب والتقارب بين الناس. لأن الاحسان يؤثر على الانسان ويملك قلبه لذلك أمر الله سبحانه به وندب الناس اليه فقال: ﴿انَّ الله يأمُرُ بالْعَدْلِ وَالإحْسانِ﴾[١] وقال: ﴿وَالله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾[٢] وقال: ﴿انَّ الله مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٣].

وقال رسول الله (ص): (جُبلت القلوب على حب من أحسن اليها، وبغض من أساء اليها).

وقال الامام علي بن ابي طالب (ع): (احسن الى من شئت تكن أميره). وقد اخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان

وإذا كان الاحسان الى من أساء اليك فهو أسمى درجة، وأعظم شأناً. وقد ادبنا بذلك القرآن الكريم حيث قال في صفة

---

(١) سورة النحل ٩٠.

(٢) سورة آل عمران ١٤٨.

(٣) سورة النحل ١٢٨.

المؤمنين: ﴿وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ [1]﴾. وقال: ﴿إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2].

وجاءت **الأوامر** عن أهل البيت عليهم السلام تحث الناس على ان يقابلوا الاساءة بالاحسان ويدرؤ ا السيئات بالحسنات ولا سيما بين **الأصدقاء** ليعيشوا في سعادة وهناء.

قال الامام علي (ع): (لِنْ لمن غالظك فانه يوشك أن يلين لك)

وقال ايضاً (**أطع** اخاك وإن عصاك، وصله وان جفاك).

وقال: (احمل نفسك من أخيك عند صرمه[3] على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده [4] على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد، وكأنه ذو نعمة عليك، واياك ان تضع ذلك في غير موضعه وان تفعله في غير اهله).

وقال: (عاتب اخاك بالاحسان اليه، واردد شره بالانعام عليه).

---

(١) سورة القصص ٥٤.

(٢) سورة فصلت ٣٤.

(٣) الصرم: القطيعة والهجران.

(٤) جموده: بخله.

٢٣ـ حفظ الاخ في غيبته

من اعظم الوفاء للصديق ان يحفظه الانسان اذا غاب، وبهذا يعرف الصديق الصادق، وتنكشف حقيقة الأصحاب كما قال امير المؤمنين (ع): (الصديق من صدق غيبه).

فكم من رجل يظهر لك من الاخلاص والحب حتى تعده في الطبقة الاولى من اصدقائك واصفيائك ولكن سرعان ما انكشف عنه الغطاء، واذا به يحمل لك في قلبه غلاً وغيظا. وما انكشفت سريرته إلّا حين غبت عنه إذ طفق يثلبك ويثلمك فبلغك ذلك منه، فخاب ظنك ورجاؤك فيه وذهبت حلاوة المحبة من قلبك، فتشاجرتما باللسان مما يؤدي ذلك الى القطيعةوالهجران لذلك اعتبر أهل البيت (ع) حفظ الأخ في غيبته من اعظم حقوق الاخوة، ومن أهم حدودها.

قال رسول الله(ص): (من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة).

وقال امير المؤمنين (ع): (لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته).

وقال الامام الباقر(ع): (اذكر أخاك اذا توارى عنك بما تحب أن يذكرك اذا تواريت عنه، ودعه من كل ما تحب أن يدعك منه فان ذلك هو العمل).

وكما يجب عليك أن لا تتكلم في غيابه بما يسوؤهُ ويشينه كذلك أن ترد عنه غيبك وتنصره.

قال رسول الله(ص): (من تطول على أخيه في غيبة سمعها في مجلس فردها عنه ردَّ الله عنه الف باب من الشر في الدنيا والاخرة. وان هو لم يردَّها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرّة).

وقال الامام الحسين (ع): (لا تقولن في أخيك المؤمن إذا توارى عنك إلا بمثل ما تحب ان يقول فيك اذا تواريت عنه).

وقال الامام الصادق(ع): (اذكروا أخاكم اذا غاب عنكم بأحسن ما تحبون ان تذكروا به اذا غبتم).

٢٤ـ اللطف والرفق في المعاشرة

لا شك انك تحب أن تكون محبوباً بين الناس.. ولا شك انك تحب أن تجذب قلوب الناس اليك، وتجلب ميلهم نحوك.. ولا شك انك تحب أن تؤثر في قلوب الناس أطيب الأثر فتكسب مودتهم واخلاصهم.. هذه أمنية كل انسان، وغاية كل شخص في الحياة.. فهل تعلم بالطريق الذي لو سلكته وصلت الى هذه الغاية، وحققت هذه الامنية؟

الطريق الموصل الى ذلك هو: حسن المعاشرة، واللطف، والرفق، وطيب الكلام. هذا هو الحجر الاساسي في السعادة الاجتماعية، وبه يستطيع الانسان أن يكسب اكبر عددٍ من الاصدقاء والأحباء لذلك قال الله سبحانه وتعالى في القرآن المجيد: ﴿وَقُولواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[1].

---

(١) سورة البقرة ٨٣.

وهذا المجتمع اكبر شاهد على ذلك. فالرجل الذي يعرف بلين الجانب، وطيب الكلام، وحسن المعشر، ورقة الطبع ترى الناس تألف اليه، وتقبل عليه. بينما ترى الرجل الغليظ الشديد السيِّء الخلق تبتعد الناس عنه، وتهرب منه اتقاء شره وسوء سيرته.

وقد صرح بهذه الحقيقة الثابته القرآن العظيم بقوله:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْب لَانفَضّوُا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1] .

وقد اهتم أهل البيت (ع) بهذه الناحية الهامة التي لها الأثر الأكبر في سعادة الانسان ونجاحه في الحياة كشأنهم في كل أمر صالح يعود على الناس بالخير والصلاح.

فقال رسول الانسانية الأعظم(ص): (**لأخبرنّكم** على من تحرم النار غداً ، تحرم على كل هيّن ليّن قريب سهل).

وقال ايضاً (من **اعطي** الخلق والرفق فقد **اعطي** الخير والراحة وحسن حاله في دنياه وآخرته. ومن حرم الخلق والرفق كان ذلك سبيلا الى كل شر وبلية الاّ من عصمه الله).

وقال ايضاً: (انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم **بأخلاقكم**).

وقال (ص): (من حرم الرفق فقد جرم الخير كله).

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩ .

.وقال (ص) : (من اكرم اخاه المسلم بكلمة يلطفه بها، وفرّج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود، وعليه الرحمة ما كان في ذلك).

وقال : (ما في أمّتي عبد الطف أخاه في الله بشيء من لطف الاّ أخدمه الله من خدم الجنة).

وقال سيد الأوصياء وامام الحكماء علي(ع) لولده الامام الحسن (ع) : (وبعض امساكك عن أخيك مع لطف خير من بذل مع جنف [1]).

وقال ايضاً: (من لانت كلمته، وجبت محبته).

وقال (ع) : (رأس العلم الرفق).

وقال (ع): (ويمكّنكم من الجنة طيب الكلام، واطعام الطعام).

وقال (ع) :(ان في الجنة لغرفاً يرى ظاهرهامن باطنها، وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأطاب الكلام).

وقال أبو عبدالله الصادق(ع) : (ان شئت أن تكرَم فلِنْ، وان شئت أن تهان فاخشن).

وقال ايضاً: (الكلمة الطيبة صدقة).

---

(١) الجنف: الظلم والميل عن الحق.

وقال ديل كارنيجي في كتابه«كيف تكسب الاصدقاء»: (إذا كان قلب الرجل مفعماً بالحنق عليك والبغضاء لك فلن يسعك أن تكسبه الى وجهة نظرك بكل ما في الوجود من منطق. فليدرك هذا الآباء اللائمون، والازواج المنتقدون، والمديرون الطاغون ولكن الاقرب الى الاحتمال أن يصل هؤلاء الى اغراضهم اذا توسلوا باللطف والرفق واللين).

ثم ختم بحثه هذا بهذه القاعدة الهامة:

فاذا أردت أن تكسب الناس الى وجهة نظرك فاتبع القاعدة رقم «٤»

توسل بالرفق واللين، ودع الغضب والعنف.

٢٥- تبادل الاخاء بين الاصدقاء

اكثر الناس يشكون من فقدان هذه الصفة بينهم. فترى هذه الكلمات الآتية تُردَّد على ألسنة الاصدقاء يعاتب بها بعضهم بعضاً، ويقولها كل منهم اذا اجتمع بأخيه:

«أنا ازورك في بيتك مراراً فَلِمَ لم تزرني انت ؟

«لماذا كلما أزداد منك قرباً تزداد مني بعداً؟»

«انا أحبك اكثر من حبك اياي..»

«كم اسدي لك من الجميل والمعروف وأنت لا تقابل الجميل بالجميل، ولا المعروف بالمعروف؟»

«أنا القاك ببشر وطلاقة، وأنت تلقاني باعراض وانقباض .»

«أنا أحترمك اكثر مما تحترمني . .»

" غير ذلك من جمل العتاب، وكلمات التأنيب والتقريع التي يتحدث بها الناس فيما بينهم في كل وقت وحين.

ومبعث ذلك كله أنَّ الاخوة لم تكن متكافئة بين الاخلاء، والحب لم يكن متبادلا بين الاحباء، والحقوق لم تكن متقابلة بين الاصدقاء. ولولا ذلك لما حصلت كل هذه المشاعر التي تجيش في صدور الناس بعضهم على بعض ولهذا نبّهنا أهل البيت عليهم السلام الى ضرورة التكافؤ والتبادل حتى يتم الصفاء، ويكمل الاخاء.

قال رسول الله(ص): (من صاحب الناس بالذي يحب أن يصاحبوه كان عدلا).

وقال امير المؤمنين (ع): (لأخيك عليك مثل الذي لك عليه).

وقال(ع) لكميل بن زياد: (يا كميل ان لم تحب اخاك فلست أخاه).

وقال لولده الحسن(ع): (وصاحب الناس بمثل ما تحب ان يصاحبوك به تكن عدلا).

وقال ايضاً..(زهدك في راغب فيك نقصان حظ، ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس).

وقال الامام زين العابدين(ع) في بيان حق الصاحب : (وأن تكرمه كما يكرمك ، وتحفظه كما يحفظك).

وقال الامام الصادق(ع) : (لا خير في صحبة من لم ير لك مثل الذي ترى لنفسه).

وقال ايضاً : (صاحب بمثل ما يصاحبونك به تزدد ايماناً).

وقال الامام الهادي (ع) : (من جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك).

وان من القبيح في نظر أهل البيت أن يكون صاحبك يحفظ لك حقك وانت لا تقابل ذلك بمثله فتحفظ له حقه لذلك قال الامام الصادق (ع) : (ما اقبح الرجل ان يعرف اخوه حقه، ولا يعرف حق أخيه).

٢٦ـ المداومة على الاخاء

من شأن الحب الصادق والمودة الخالصة انها تزداد حيناً بعد حين. فكلما مضى على الاخوان في الله حين من الدهر تأكدت بينهم الروابط وتوثقت بينهم الصلات. وبالعكس من ذلك الصداقة المستندة على المصالح الشخصية، المعتملة على الأغراض المادية ، فانها منذ أول يومها يكتب لهاالزوال اولئك هم اصدقاء الرخاء الذين يصورهم الامام علي بن ابي طالب(ع) بشعره المشهور:

وما اكثر الاخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

اولئك الذين يتلوّنون مع الظروف ، ويتكيفّون مع الزمن لا يستقيمون على مودة، ولا يثبتون على محبة اولئك العدو فاحذرهم فلا خير في مودتهم كما قال أمير المؤمنين(ع).

ولا خير في ود امرىء متلوّن اذا الريح مالت مال حيث تميل

نعم، القرين الصالح، والصديق الصادق هوالذي يثبت على حبه واخائه، ويداوم على وده وولائه ، في الشدة والرخاء لذلك قال رسول الله(ص): (إنّ الله يحب المداومة على الاخاء القديم فداوموا عليه).

وقال علي بن ابي طالب (ع): (من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحنينه الى اوطانه، وحفظه قديم اخوانه). وقال: (اخوان الدين أبقى مودة).

ويروى ان داود (ع) قال لابنه سليمان(ع): (يا بني لا تستبدلن بأخ قديم أخاً مستفاداً ما استقام لك ولا تستقلّنّ أن يكون لك عدو واحد، ولا تستكثرن ان يكون لك الف صديق).

وقد اخذ المعنى بعض الشعراء فقال :

وليس كثير الف خل وصاحب وان عدواً واحداً لكثير

والصديق القديم الذي انغمر بحب أخيه قلبه، وفاضت بمودته نفسه، لا يمكن أن يترك صديقه مهما كلفه ذلك من أمر. أما الذي يدع صديقه أو يستبدل به غيره فليس هو بأخ صادق ولا صديق حميم بل هو الأحمق بعينه كما قال أمير المؤمنين(ع): (مودة الأحمق تزول كما يزول التراب).

وقال (ع): (كن للودّ حافظاً ، وان لم تجد محافظاً).

ولقد صور الامام الصادق (ع) ذلك الصديق المثالي بهذين البيتين الذين طالما كان يتمثل بهما وهما:

أخوك الذي لو جئت بالسيف عامداً
لتضربه لم يستغشك في الود
ولو جئته تدعوه للموت لم يكن
يردّك ابقاء عليك من الرد

اما الذي يمل أخاه الصالح بعد طول الصحبة فليس هو بأخ كما قال امير المؤمنين (ع): (لا تأمنن ملولا، ازالة الرواسي اسهل من تأليف القلوب المتنافرة).

وقال الامام الصادق (ع): (لا اخاء لملول).

وقال: (ولا تثق بمودة ملول فانه اوثق ما كنت به خذلك وأوصل ما كنت له قطعك). وقال: (ليس لملول صديق).

بل الاخوة الصحيحة كلما تقادم عهدها تزداد ثباتاً في النفس، ورسوخاً في القلب، وتكون بمنزلة القرابة القريبة لذلك قال امير المؤمنين (ع): (المودة قرابة مستفادة). وقال: (المودة أشبك الأنساب).

وقال الامام جعفر بن محمد (ع): (صحبة عشرين يوماً قرابة).

بل ربما تزيد المودة على القرابة علقة وارتباطاً كما قال الامام

علي بن ابي طالب (ع) :(رب بعيد أقرب من قريب). وقال ايضاً :(القرابة الى المودة احوج من المودة الى القرابة).

واذا تمت الاخوة، وكملت الصداقة، ورسخت المودة بين اثنين فانّ ذلك دليل على التشاكل الفطري والتقارب الطبيعي بين هذين المتحابين والاّ لما تم لهما اتفاق، ولا حصل بينهما انسجام كما قال سيد الأنبياء محمد بن عبدالله(ص): (**الأرواح** جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف).

وقال إمام الحكماء علي بن ابي طالب (ع): (النفوس اشكال فما تشاكل منها اتفق، والناس الى أشكالهم أميل).

٢٧ـحسن الاستماع للصديق

اذا تحدث أخوك معك بحديث فمما يفرضه عليك الوفاء، ويحتمه عليك الادب ان تقبل عليه بوجهك، وتنصت اليه بسمعك، وان لا تقطع عليه كلامه، ولا تشتغل عنه بشيء، فان ذلك لممايسيء الى اخوته، ويكدر عليه صفو محبته. واجتهد في أن تكون مع أخيك كمن وصفه الشاعر بقوله:

من لي بانسان اذا اغضبتُه
وجهلتُ كان الحلم ردّ جوابه
واذا طربت الى المدام[1] شربت من
اخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بقلبه
وبسمعه ولعله أدرى به

(١) المدام: الخمر.

وقد اعتبر اهل البيت عليهم السلام حسن استماعك لمن يحدثك دليلا على مروءتك كما قال رسول الله (ص): (من المروءة أن ينصت الأخ لأخيه اذا حدثه، ومن حسن المماشاة أن يقف الاخ لأخيه اذا انقطع شسع نعله). ودليلا على اصابة رأيك كما قال الامام الصادق (ع): (مما يستدل بها على اصابة الرأي حسن اللقاء، وحسن الاستماع).

كما انهم عليهم السلام اعتبروا عدم الاصغاء الى المتكلم حتى ينهي حديثه من دلائل الجهل وشيم الجهلاء فقال جعفر بن محمد الصادق(ع): (من اخلاق الجاهل الاجابة قبل ان يسمع، والمعارضة قبل أن يفهم، والحكم بما لا يعلم).

ولقد كتب ديل كارنيجي في كتابه: «كيف تكسب الاصدقاء» فصلا ذكر فيه ما في حسن الاستماع من أثر بالغ في كسب الاصدقاء والتأثير في الناس. ثم ختمه بهذه الكلمة الموجزة:

فاذا أردت ان يحبك الناس فاتبع القاعدة رقم «٤»:

كن مستمعاً طيباً، وشجع محدثك على الكلام عن نفسه.

ومما جاء في هذا الفصل قوله: إذا كنت تريد ان ينفضّ الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك فهاك «الوصفة»:

لا تعط أحداً فرصة الحديث.

تكلم بغير انقطاع عن نفسك.

واذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم

حديثه، انه ليس ذكياً مثلك ولا أديباً فلماذا تضيع وقتك في الاستماع الى حديثه السخيف.

اقتحم عليه الحديث واعترضه في منتصف كلامه

ثم يقول: (ولكي تصبح محدثاً بارعاً.. كن أولا مستمعاً طيباً).

٢٨- اطعام الاصدقاء

كلنا يدرك ما في اجتماع الإخوان في بيت أحدهم على مائدة واحدة من الأهمية في بعث روح التحابب والتقارب فيما بينهم. فما يتفرقون عن مثل هذا المجلس إلا وقد فاضت بالمحبة قلوبهم، وامتلأت بالمودة نفوسهم وكلهم ألسنة شكر وثناء على أخيهم الذي غمرهم بفضله، وشملهم بلطفه فيزدادون له حباً ووداً.

لذلك ورد التشويق والترغيب عن أهل البيت الطاهر عليهم السلام على إطعام الطعام للإخوان ليجنوا من ذلك أطيب الثمرات.

قال أمير المؤمنين(ع). (لأن اصنع صاعاً من طعام واجمع عليه إخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة).

وعن أبي بصير قال: ذكر أصحابنا «الاخوان» فقلت: ما أتغدّى ولا اتعشى إلا ومعي اثنان أو ثلاثة أو أقل أو أكثر. فقال أبو عبد الله عليه السلام: (فضلهم عليك اعظم من فضلك عليهم) فقلت: جعلت فداك كيف وأنا اطعمهم طعامي، وانفق عليهم مالي، ويخدمهم خدمي وأهلي. قال: (انهم إذا دخلوا عليك، دخلوا عليك برزق كثير، وإذا خرجوا، خرجوا بالمغفرة).

وقال أيضاً لاسحاق: (تدخل اخوتك الى منزلك فيأكلون طعامك، ويشربون شرابك ويطؤون فراشك؟) قال نعم. قال: (أما انهم ما يخرجون من بيتك الا ولهم الفضل عليك) قال اسحق: يا سيدي يدخلون بيتي، ويأكلون طعامي، ويفترشون فرشي، ويخرجون من منزلي ولهم الفضل عليّ؟ قال: (نعم.. انهم يأكلون ارزاقهم، ويخرجون بذنوبك وذنوب عيالك).

وروي عن سدير قال قال لي أبو جعفر الباقر (ع): يا سدير تعتق كل يوم نسمة؟). قلت: لا. قال: (فكل شهر؟). قلت: لا قال: (فكل سنة؟) قلت: لا. فقال: (سبحان الله اما تأخذ بيد أخيك في الله فتدخله بيتك فتطعمه فوالله لذلك أفضل من عتق رقبة من ولد اسماعيل).

٢٩ـ كثرة الموافقة وقلة المخالفة

لو اعتاد الاصدقاء على أن يسير كل منهم مع صاحبه على هذا الخلق الرفيع لسعدوا جميعاً، ولما وقع بينهم تصادم وتقابل. لأن في مخالفة الأصدقاء بعضهم لبعض في الآراء، واصرار كل منهم على رأيه قطع لعلائق الحب، ونقض لروابط الاخاء. كما ان في الموافقة تأكيد للعلقة ودليل على المودة والالفة. لذلك الفت أهل البيت انظار الاصدقاء الى هذا الأمر تشويقاً لهم الى فوائد الاتفاق، وتحذيراً لهم من مفاسد الاختلاف.

قال الامام علي(ع): (حسب المرء من صداقته كثرة موافقته وقلة مخالفته).

وسئل الامام الحسن (ع): ما الشرف ؟ فقال : (موافقة الاخوان وحفظ الجيران).

وقال الامام الجواد (ع): (من علامة المحبة كثرة المرافقة، وقلة المخالفة).

٣٠ـ اصلاح النفس قبل اصلاح الغير

لو يفكر كل انسان بعيوب نفسه كما يفكر بغيوب غيره لسعد الناس جميعاً ولو يحاسب كل انسان نفسه كما يحاسب غيره لكنا في خير عظيم. ولكن الانسان ينظر في غيره مالا ينظره في نفسه، ويستقبح من غيره مالا يستقبحه من نفسه، لذلك لا تجد للتعليم والوعظ تأثيراً بالغاً في النفوس. لأن الواعظ اذا لم يكن

متعظاً لم ينفع وعظه، والمعلم اذا لم يكن كاملاً مهذباً لم يُجد تعليمه. ولقد ابدع ابو الاسود الدؤلي كل الابداع بقوله:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا[1]
كيما يصبح به وأنت سقيم.

ونراك تصلح بالرشاد عقولنا أبداً وأنت من الرشاد عديم
إبدأ بنفسك وانهها عن غيّها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويهتدى بالقول منك وينفع التعليم

والابتداء باصلاح النفس، واكمال نقائصها، وسد عيوبها قبل الابتداء بالغير سبيل للتحبب الى الناس ولاكتساب مودتهم وتقديرهم. كما أنّ محاسبة الناس وتتبع عثراتهم مع اهمال نفسه سبب للمقت والكراهة بينهم.

قال ديل كارنيجي في كتابه: «كيف تكسب الاصدقاء»: (هل في ذهنك الآن شخص تود من صميم قلبك أن تقوّم طباعه، وتهذب خلقه وتهديه سواء السبيل. اذا كان الامر كذلك فهذه أريحية تشكر عليها ولكن لم لا تبدأبنفسك اولا؟ فمن وجهة النظر الغريزية الاهتمام بالنفس احب بكثير من الاهتمام بالغير وأقل خطراً كذلك. ـ ثم يقول ـ : ما قولك في ان تخصص عاماً كاملا مثلا لاتمام نقص نفسك، وتصحيح عيوبها. ولك بعد هذا

---

(١) الضنا: المرض.

أن تخصص الاعوام التالية كلها لتقويم طباع الناس وتهذيب خلقهم).

وقال ايضاً: فلكي تملك زمام الناس دون أن تسيء اليهم أو تستثير عنادهم اتبع القاعدة رقم«٣»:

تكلم عن اخطائك قبل أن تنتقد الشخص الآخر.

وهلم الآن فاستمع الى ما جاء عن أهل البيت (ع) في هذا الموضوع الهام.

قال الرسول الأعظم(ص): (كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وان يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه).

وقال ايضاً: (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس).

وقال (ص): (اذا أردت ان تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك).

وقال الامام الاكبر علي بن أبي طالب (ع): (من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه).

وقال أيضاً: (من نظر في عيب نفسه انشغل عن عيب غيره).

وقال: (لا تتبعن عيوب الناس فان لك من عيوبك «ان عقلت» ما يشغلك أن تعيب أحداً).

وقال لولده الحسن عليهما السلام: (واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك).

مقوّضاتُ المودّة

كلما مر عليك من المباحث هو مقومات المودة التي تعين الانسان على اكتساب الأصدقاء والتحبب الى الناس. وسنذكر لك فيما يأتي من المباحث كل ما ينقض هذه الصلة الروحية، ويقطع هذه الرابطة المقدسة.

فأهل البيت عليهم السلام الذي استند كتابنا هذا على توجيهاتهم الصائبة وتعليماتهم السديدة لم يدَعوا شيئاً يزيد في الحب والوداد، ويغرس في النفوس المودة والاخاء الاّ وأرشدوا اليه، وحثوا عليه. كما انهم لم يتركوا شيئاً يبعث في النفوس الضغائن والبغضاءإلاّ وحذّروا منه، وأنذروا الناس بما في ذلك من ضرر وخطر يجب على العاقل أن يتجنبه ويحذره ليعيش مع اخوانه حياة كلها رغد وسرور، تحفّ بها الأفراح، ويغمرها الاخاء والوفاء، لذلك نهونا عن التخلق بالصفات الآتية:

١ـ التملق

وهو جرثومة فتّاكةتنخر في هيكل الصداقة حتى تقضه من أساسه وتقوض دعائمه. لأن الصداقة ما لم تكن معتمدة على الاخلاص القلبي الصحيح والمودة الصادقة التي لا تشوبها شائبة فهي صداقة ظاهرة لا يرجى منها نفع، ولا تحصل منها فائدة.

لذلك أمرنا أهل البيت (ع) بالاخلاص في المودة، وحذرونا

من التملق، وأنذرونا عواقبه الوخيمة.

فقال رسول الله (ص) : (اذا الناس أظهروا العلم، وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله عز وجل وأصمهم وأعمى أبصارهم).

وقال الامام الباقر (ع): (ليس من أخلاق المؤمن الملق).

وقال الامام الهادي(ع) : (كثرة الملق يهجم على الظنة، وإذا حللت من أخيك محل ثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية).

وقال الامام العسكري(ع): (بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً ، إن **اعطي** حسده، وان ابتلي خذله).

٢ـ خيانة الاصدقاء

الخيانة جريمة من أفظع الجرائم، ورذيلة من أقبح الرذائل وهي دليل على خبث السريرة، وانحطاط الأخلاق. وإذا كانت الخيانة مع الأصدقاء فهي أشد فظاعة، وأعظم اثماً حيث انها بالإضافة إلى مافيها من قبح ذاتي، انتهاك لحرمة الصداقة، واعتداء على حقوقها. وبها تنفصم عرى المودة، وينقطع حبل الإخاء.

لذلك اهتم أهل البيت (ع) بهذا الأمر فوجهوا الى الملإ الاسلامي تحذيرهم من التلوث بهذا الخلق الرذيل.

قال الامام الصادق (ع): (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه).

وقال ايضاً: (المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يخذله ولا يغشه ولا يغتابه ولا يخونه ولا يكذبه).

وقال عليه السلام: (لا تغشش الناس فتبقى بغير صديق). والغش شعبة من الخيانة.

وقال (ع): (المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يخدعه، ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه).

وإذا اضمرت لأخيك سوءاً فقد خنته كما قال الامام الباقر (ع): (عليكم بتقوى الله ولا يضمرنّ أحدكم لأخيه امراً لا يحبه لنفسه فانه ليس من عبد يضمر لأخيه أمراً لا يحبه لنفسه الاّ جعل الله ذلك سبباً للنفاق في قلبه).

واذا ائتمنك أخوك على سرّ فأفشيته فقد خنته كما قال الامام الباقر(ع): (من الخيانة أن تحدث بسر أخيك).

واذا استشارك أخوك فأشرت عليه برأي تعلم أنّ فيه ضرراً عليه فقد خنته كما قال رسول الله(ص): (من أشار على أخيه بأمر يعلم أنّ الرشد في غيره فقد خانه).

ومن الخيانة بأخيك أن تحفظ عليه بعض زلاته لتفضحه بين الناس بل هو الى الكفر أقرب كما قال رسول الله(ص): (أدنى الكفر أن يسمع الرجل من أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها اولئك لا خلاق لهم [1]).

---

(١) لا خلاق لهم: لا نصيب لهم

ومن الخيانة ايضاً أن تحدث عنه بما يزري بشأنه، ويخلّ بكرامته كما قال الرسول الكريم(ص): (من روى عن أخيه المؤمن رواية يريد بها هدم مروءته وثلبه [1] اوبقه [2] الله بخطيئته حتى يأتي بمخرج مما قال ولن يأتي بالمخرج منه أبداً).

ومن الخيانة أن تحدثه كاذباً وهو يحسبك صادقاً كما قال الامام الصادق (ع): (كبرت خيانة أنّ تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب).

ومن الخيانة ان ترى أخاك يرتكب قبيحاً فلم تردعه عنه كما قال الامام الصادق(ع): (من رأى أخاه على امر يكرهه ولم يردعه فقد خانه).

ومن الخيانة أن يكون في قلبك حب لأخيك فلم تخبره بذلك ولم تطلعه عليه كما قال رسول الله(ص): (من كان لأخيه المسلم في قلبه مودة ولم يعلمه فقد خانه).

وجدير بالعاقل أن لا يمنح مودته الا من كان مخلصاً له وفياً معه ولا يضعها في غير موضعها كما قال أمير المؤمنين (ع): (لا تمنحنّ ودّك لمن لا وفاء له).

---

(١) ثلبه: التكلم عليه بما يعيبه وينقصه.

(٢) اوبقه: اهلكه.

٣ـ الجدل والمراء[١]

لا تحسب أنّ هناك مقوضاً لدعائم الاخوة، ومكدراً للصفاء بين الناس اعظم من المجادلة والمخاصمة. حتى ولو كان المجادل محقاً في جدله. هذا أمر ملموس يحس به كل من خالط الناس، ووقف على شؤونهم.

لذلك وردت التحذيرات عن أهل البيت(ع) متواترة تحث الناس على ترك الجدل والمراء. وتوضح للناس نتائجه السيئة التي توقع الناس في الضرر العظيم، وتورث في القلب العداوة والبغضاء.

فقد روي عن ابي امامة الباهلي انه قال: خرج علينا رسول الله ونحن نتمارى فغضب وقال: (ذروا المراء لقلة خيره، وذروا المراء فان نفعه قليل، وانه يهيج العداوة بين الاخوان).

وقال ايضاً: (لا تمار اخاك، ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه).

وقال ايضاً: (ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته، ولا تؤمن فتنته).

وقال ايضاً: (لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يترك المراء ولو كان محقاً).

---

(١) المراء: الجدال.

وقال: (اياكم والمراء والخصومة فانهما يمرضان القلوب على الاخوان، وينبت عليها النفاق).

وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) يوصي كميل بن زياد النخعي: يا كميل: (إياك والمراء فأنت تغري بنفسك السفهاء).

وقال الامام الحسين(ع): (لا تمارين حليما ولا سفيهاً فان الحليم يقليك [1]، والسفيه يرديك [2]).

وقال الامام الصادق (ع) يوصي مؤمن الطاق: (يا ابن النعمان اذا أردت أن يصفو لك ودّ أخيك فلا تمازحنه، ولا تمارينّه، ولا تباهينّه ولا تشارّنه [3]).

وقال: (لا تمارين حليماً ولا سفيهاً فان الحليم يقليك، والسفيه يؤذيك).

وقال: (إياكم والخصومة فانها تشغل القلب، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن).

وقال الامام الهادي (ع): (المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة. واقل ما فيه ان تكون فيه المغالبة، والمغالبة أسٌّ اساس القطيعة).

وقال الامام العسكري (ع): (لا تمار فيذهب بهاؤك).

---

(١) يقليك: يبغضك.

(٢) يرديك: يهلكك.

(٣) لا تشارنه: لا تخاصمنه.

وكتب ديل كارنيجي في كتابه: «كيف تكسب الاصدقاء» فصلا في هذا الموضوع تحت عنوان «لا تجادل». ومما جاء فيه قوله: (فحين كنت صبياً اعتدتُ أن أجادل في كل شيء. فلما ذهبت الى الجامعة درست المنطق لأستعين به على الجدال، ورحت أساهم في المناظرات اياً كان موضوعها.

كان عليّ ان أشبع حب الظهور بأي ثمن. وأخيراً بدأت أدرس المناظرة وطرق الجدال في نيويورك، وأوشكت ذات يوم- وكم يخجلني هذا- أن أضع كتاباً في هذا الموضوع. وقد خرجت من هذا كله بنتيجة واحدة هي أنّ ثمة طريقة واحدة لكي تكسب جدالاً تلك هي أن تتجنبه كما لو كان حية رقطاء أو زلزالا مدمراً).

ثم ختم البحث **بقوله:**

فلكي تجذب الناس الى وجهة نظرك اتبع القاعدة رقم (١):

لا تجادل واعلم أنّ أفضل السبل لكسب جدال هو أن تتجنبه.

٤- التكلف مع الأصدقاء

يطيب للانسان أن يجد حريته مع صديقه سواء كانت في مجلسه، أو ملبسه، أو حديثه. وأن لا يتقيد معه بالقيود التي يفرضها عليه المجتمع. فان ذلك أبلغ في المودة، وأقرب الى المحبة مع المحافظة على الآداب والاحتشام.

أما إذا كان يتكلف معه كما يتكلف مع الناس، ويتقيّد معه كما يتقيد مع المجتمع فسوف لا يجد لتلك الصداقة لذتها وحلاوتها بل سيشعر بثقلها عليه. وربما جره ذلك الشعور الى التدابر والقطيعة لذلك قال رسول الله (ص): (شر الأصدقاء من تُكلف له).

وقال أمير المؤمنين (ع): (إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه).

وقال أيضاً: (شر الاخوان من تكلف له، وخيرهم من أحدثت لك رؤيته ثقة به، وأهدت اليك غيبته طمأنينة به)

وقال الامام الصادق (ع): (اثقل إخواني عليّ من يتكلف لي وأتحفظ منه. وأخفّهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي).

وقال بعض الحكماء: (إنما تقاطع الناس بالتكلف).

٥ـ الهجران

مما مر عليك من **الأبحاث** عرفت أهمية الصداقة، وعظيم أثرها في حياة الانسان، وشدة اهتمام أهل البيت بها بحيث اعتبروا عقد مثل هذه الرابطة أفضل الأعمال وأقربها الى الله لذلك كان هجر الصديق جريمة يستنكرها العقل السليم، ويأباها الضمير الحي ويحذّر منها أهل البيت (ع) لأنها تجر الى الضغائن، وتعرّض حبل المودة الى القطع، وعقد الأخوّة الى

النقض، وعرى الصداقة الى الانفصام.

قال رسول الله(ص) : في وصيته لأبي ذر «رض»: (يا أبا ذر إياك وهجران اخيك فان العمل لا يتقبل مع الهجران. . يا أباذر أنهاك عن الهجران وإن كنت لا بد فاعلا فلا تهجره فوق ثلاثة أيام فمن مات فيها مهاجراً لأخيه كانت النار أولى به).

وقال أيضاً: (من هجر أخاه فوق ثلاث دخل النار).

وقال الامام الباقر (ع): (مامن مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث إلا وبرئت منهما).

وقال الامام الصادق (ع): (لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، أو ربما استحقا ذلك كلاهما).

فقال له بعض أصحابه: جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم؟

قال: (لأنه لا يدعو أخاه الى صلته، ولا يتعامى له عن كلامه. سمعت أبي يقول: إذا تنازع اثنان فعاوز أحدهما الآخر فليرجع المظلوم الى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم حتى يقطع الهجران فيما بينه وبين صاحبه، فان الله تبارك وتعالى حَكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم).

وقد أمرنا أهل البيت(ع) بصلة الاخوان ولو بطيب الكلام فقال الامام الصادق (ع): (صلوا اخوانكم وبرّوا اخوانكم ولو بحسن الكلام ورد الجواب).

ورجوع الأخوين المؤمنين المتقاطعين الى التصافي سهل جداً يحتاج الى شيء من حلاوة اللسان، وطلاقة الوجه، والاغضاء عن الاساءة، والصفح عن الذنب فبذلك يسهل عليهما الرجوع بعد الادبار، والوصل بعد الهجران كما قال الامام الصادق (ع): (إنّ سرعة ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا ـ وإن لم يظهروا التودد بألسنتهم ـ كسرعة اختلاط ماء السماء بماء الأنهار. وانّ بُعد ائتلاف قلوب الفجار إذا التقوا ـ وإن أظهروا التودد بألسنتهم ـ كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مذودٍ [1] واحد).

ولو وقع تهاجر وتقاطع بين أخوين فأفضلهما وأحبهما الى الله هو السابق منهما الى صلة أخيه ومحادثته كما قال رسول الله (ص): (أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثا لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الاسلام ولم يكن بينهما ولاية. فأيهما سبق الى الكلام لأخيه كان السابق الى الجنة يوم الحساب).

وكلما كان الهجر أطول كان أعظم جرماً، وأكبر إثماً. كما قال

---

(١) المذود: معلف الدابة.

رسول الله (ص): (هجر الرجل أخاه سنة كسفك دمه).

وقال بعض الشعراء:

ولا تقطع أخاً من أجل ذنب فان الذنب يغفره الكريم

ولكثرة ما في الهجران والتقاطع من ضرر عظيم على الاصدقاء اعتبر أهل البيت (ع) المفرقين بين الاخوان من أعظم الناس وزراً عند الله. قال رسول الله (ص): (**ألا** أنبئكم بشراركم؟) **قالوا** بلى يا رسول الله. قال: (المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبة، الباغون للبرآء المعائيب).

وكذلك اعتبروا التأليف بين الاخوان إذا تنافروا، والتقريب بين الاخلاء إذا تباعدوا من افضل الأعمال وأجلها. قال رسول الله(ص) لأبي ايوب (رض): (يا أبا أيوب: ألا أدلك على عمل يرضي الله؟) قال: بلى يا رسول الله. قال: (**فأصلح** بين الناس إذا تفاسدوا، وحبّب بينهم إذا تباغضوا).

وقال الامام الباقر(ع): (رحم الله امرءاً ألّف بين وليين لنا. يا معشر المؤمنين تالفوا وتعاطفوا).

ولزيادة اهتمام الشارع المقدس بتأليف القلوب المتنافرة أباح الكذب في سبيل ذلك **لأن** الضرر الذي ينجم عن تفرق الاخوان وتقاطعهم أعظم أثراً، وأكبر خطراً من الكذب لذلك جاز هذا في سبيل ذلك.

قال رسول الله(ص): (ليس بكذاب من أصلح بين اثنين).

وقال أيضاً: (كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما).

وقال الامام الصادق (ع): (كل كذب مسؤول عنه صاحبه إلا كذباً في ثلاثة: رجل كايد في حروبه فهو موضوع عنه، أو رجل أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى هذا يريد بذلك الاصلاح ما بينهما، أو رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم لهم).

٦ـ معاداة الصديق ومصادقة العدو

إنّ مما يصعب تحمله، ويشق على الانسان وقعه أن يرى صديقاً له يماشي عدوه ويلاقيه، ويصادقه ويؤاخيه. فان هذا يثير في النفس التألم والتأثر، وقد يجر هذا التألم الى الكراهة والبغض، ثم الى القطيعة والهجران ثم الى مالا تحمد عاقبته من التصادم والتقابل لأن مصادقة العدو تجرح عاطفة الصديق، وتصيب قلبه، وتسيء الى اخوّته.

كذلك لو رأيت رجلاـ يحمل لصديقك الوفي العزيز عداوة، أو يضمر له كيداً، فانك ولا شك ستقابل عمله هذا بالاستياء والاستنكار وتجد قلبك يتميز من الغيظ عليه. **لأن** من اساء الى صديقك فكأنما أساء اليك، ومن عاداه فكأنما عاداك لأنك وهو روح واحدة في الشعور والاحساس وان اختلفت **الأجسام**، وتباينت الأجساد، لذلك يجب على الأصدقاء جميعاً أن يحب

كل منهم صديق صديقه ولا يعاديه، وأن يعادي عدوصديقه ولا يؤاخيه.

ولم تفت أهل البيت هذه الناحية الهامة في حياة الأصدقاء بل نبهوا اليها ليكون الناس على بينة من امرهم، وبصيرة في حياتهم.

قال أمير المؤمنين (ع) لولده الامام الحسن(ع): (لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك)، وقال: (وإذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه).

وقال: (أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة. فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوك. وأعداؤك: عدوك، وعدو صديقك، وصديق عدوك).

وقد أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

صديق عدوّي داخل في عداوتي
وإني لِمَنْ ودّ الصديق ودود

وقال الآخر:

تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك إنّ الرأي منك لعازب [1]

---

(١) عازب: بعيد.

٧ـ الشماتة بالصديق

من الظلم الفاحش أن نسمي الرجل الذي يحمل الشماتة لأخيه صديقاً بل هو عدو قد تلبّس بثوب صديق. وهذا اضرّ على الانسان من عدوه المتظاهر بالعداء. لأنّ الانسان قد يستطيع أن يبتعد عن عدوه، ويفر منه لئلا يصيبه منه أذى. أما هذا العدو المتستر فمن الصعب على الانسان أن يحذره ويتقي شره **لأنه** ملازم له ملازمة الأصدقاء، ويعاشره معاشرة المخلصين الأوفياء ولكنه يبطن في سريرته من الكيد به، والغيظ عليه ما لو اطلع عليه لولّى منه فراراً، ولملىء منه رعباً. ولذلك يقول الشاعر:

ومن نكد الدنيا على الحرأن يرى عدواً له ما من صداقته بدّ

ولن يكون الصديق صديقاً حقاً حتى يحب لأخيه كل ما يحب لنفسه وأن لا يضمر في قلبه على أخيه سوءاً وإلا فهو خارج عن حدودالصداقة بل هو عدو خبيث.

قال الإمام الباقر (ع): (عليكم بتقوى الله ولا يضمرنّ أحدكم لأخيه أمراً لا يحبه لنفسه فإنّه ليس من عبد يضمر لأخيه أمراً لا يحبه لنفسه إلا جعل الله ذلك سبباً للنفاق في قلبه).

ومعنى الشماتة أن يفرح بما يقع على أخيه من بليّة ومصيبة أو يبدي ان اخاه مستحق لمثل هذا لسوء فعله وعمله. فاذا اطلع اخوه على شماتته فماذا سينتج من ذلك يا تُرى؟ .

أفيبقي على حبه له، واخلاصه إياه؟ كلا . . ثم كلا بل سيمتلىء قلبه غيظاً عليه لذلك حذرنا أهل البيت من التخلق بهذا الخلق الذميم. وأمرونا بأن تنطوي على قلب سليم. فقال الامام الصادق (ع): (ثلاث يجلبن المودة: الانصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على قلب سليم).

وقال ايضاً: (لا تبدي الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويحلها بك).

وقال ايضاً: (من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن).

٨ـ ايذاء الصديق

كثير من الناس أولئك الذين يستسيغون ايذاء أصدقائهم سواء بأيديهم أو بألسنتهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً. فترى الرجل منهم يوجه الى صديقه أقسى الكلمات وأشدها على قلبه وينظر اليه كيف يتململ منها فلا يأبه بذلك بل قد يتخذ ذلك لانسه ومرحه.

ونرى الآخر قد يضرب صديقه بضربات مؤلمة فاذا استنكر صاحبه منه ذلك اعتذر بأنه يمزح معه في عمله.

وهناك آخرون قد يأخذون من أخيهم شيئاً بغير علمه فيدَعون أخاهم يبحث عنه في كل مكان، ويفتش هنا وهناك. وقد يكون هذا الشيء ثميناً، أو أمانة مستودعة عنده فيضطرب لذلك أشد

الاضطراب، ويتألم غاية التألم، ويبذل جهداً ووقتاً في سبيل الفحص عنه. واصدقاؤه القساة الجفاة ينظرون اليه ويضحكون عليه حتى إذا قضوا وطرهم من الأنس والطرب قدموا اليه ضالته فيأخذها والاسف يحزّ في نفسه حيث ابتُلي بمثل هؤلاء الاصدقاء. فاذا وجه اليهم استنكاره واستياءه أجابوا بأننا نمزح معك ولا نقصد إلا خيراً.

والاصدقاء من هذا الطراز كثيرون جداً في هذا العصر، وفي هذا المجتمع والمنصفون منهم قليلون كما قال أمير المؤمنين (ع): (قليل من الاخوان من ينصف).

لذلك لا نجد للاخوة الصحيحة، والصداقة الصادقة أثراً بين الناس لأنّهم بعيدون عن روح الاسلام وتعاليمه.

فهذا دستوره الاعظم يقرع المسامع بقوله:

﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1]

وهذا نبيه الاكرم يصرّح بقوله:

(المسلم من سلم الناس من يده ولسانه).

وهذا حكيمه الاكبر علي بن ابي طالب (ع) يشترط في الصداقة خلوها من الايذاء فيقول:

(من أمنت من أذيته فارغب في اخوته).

---

(١) سورة البقرة ١٩٠

ولئلا يقع الاصدقاء بمثل هذه النتائج السيئة والعواقب الوخيمة نهانا أهل البيت(ع) عن الايذاء والاعتداء على الصديق. وعدّوا ذلك خرقا لحقوق الاخوة، وانتهاكاً لحرمتها.

قال رسول الله(ص): (من روى عن أخيه المؤمن رواية يريد بها هدم مروّته وثلبه اوبقه [1] الله بخطيئته حتى **يأتي** بالمخرج مما قال ولن يأتي بالمخرج منه أبداً).

وقال أمير **المؤمنين** (ع) (من حفر بئراً **لأخيه** وقع فيها).

وقال الامام **جعفر** بن محمد (ع): (لا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فانك كما تدين تدان).

وقال أيضاً: (إذا قال الرجل لأخيه: «أف» انقطع ما بينهما من الولاية. وإذا قال: «أنت عدوي» كفر أحدهما. فاذا اتهمه انماث [2] الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء).

ولكثرة اهتمام الاسلام بأن لا يمس الصديق أخاه بسوء وأذى اعتبر الرجل الذي يؤذي أخاه بصدقه كاذباً، والرجل الذي ينفع أخاه بكذبه صادقاً واليك الحجة على ذلك:

قال الامام الصادق (ع): (ان الرجل ليصدق على أخيه فيناله من صدقه على أخيه عنت [3] فيكون كاذباً عند الله. وان الرجل **ليكذب** على أخيه يريد به منفعته فيكون عند الله صادقاً).

---

(١) أوبقه: أهلكه.
(٢) انماث: ذاب.
(٣) العنت: المشقة والضرر.

وكذلك اعتبر استقصاء الحق من الاخ ايذاء له واساءة اليه كما **قال** الامام الصادق(ع) أيضاً لبعض اصحابه: (ما بال اخيك **يشكوك؟**).

فقال يشكوني أن استقصيت حقي عليه. فجلس الامام مغضباً ثم قال: كأنّك إذا استقصيت حقك لم تسيء. أرأيتك ما حكى الله عن قوم يخافون سوء الحساب أخافوا ان يجور الله عليهم؟ لا.. ولكن خافوا الاستقصاء فسماه الله «سوء الحساب». فمن استقصى فقد أساء).

نعم يأمر اهل البيت بأن تبتني حياة الأصدقاء على الانصاف والاحسان والرحمة وأن لا يسيء أحد الى أحد ولا يحسد بعضهم بعضاً.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع): (تحتاج الأخوة إلى ثلاثة أشياء فان استعملوها والاّ تباينوا وتباغضوا. التناصف، والتراحم، ونفي الحسد).

٩ـ الانانية

وهي صفة بغيضة يستنكرها كل انسان ولكن قلّ ما يخلو منها انسان. وهي أن يهتم بنفسه دون غيره، ولا يفكر في مصلحة سواه فنفسه هي **المطمح الأسمى** في حياته، ومصلحته هي الغاية القصوى في دنياه.

ولقد كافح الاسلام الانانية مكافحة لا هوادة فيها حيث بنى

مبادئه وتعاليمه على المصالح العامة، والمنافع المتبادلة، وركز أسسه على القاعدة الكبرى التي صدع بها صاحب الرسالة الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه) والأناني لا تطاق صحبته، ولا تستساغ معاشرته **لأنه** لا يفكر في صاحبه كما يفكر بنفسه، ولا يحب له ما يحب لها، ولا يكره له ما يكره لها فمثل هذا الانسان جدير بالقطع والهجران لذلك قال سيد **الأنبياء**(ص): (لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي يرى لنفسه).

ولقد اعتبر أهل البيت الأصدقاء بمنزلة الروح الواحدة يسعى كل منهم في مصالح الآخر كما يسعى في مصالح نفسه، ويحرص على فائدته كما يحرص على نفسه. بل زادوا على ذلك فأمروا بأن يؤثر كل منهم اخاه على نفسه ويقدم مصالحه على مصالحها ليتم بذلك **التمازج** القلبي، والتقارب الروحي بين الاخوان. ولقد تجلت لك هذه **المعاني** السامية في غضون **الأبحاث الماضية**.

ولعل ابرز صورة تمثل لنا الامتزاج والتقارب بين الأصدقاء ما يدعوننا اليه الإمام زين العابدين (ع) حين قال لرجل: (هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير اذنه؟) قال: «لا» فقال عليه السلام: (لستم باخوان؟).

وسئل الامام الصادق(ع): ما أدنى حق المؤمن على أخيه؟

قال: (ان لا يستأثر عليه بما هو احوج اليه منه).

ومن ظريف ما يحكى ان ابا سليمان **الداراني** قال: (كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فأقول: اعطني من مالك شيئاً فكان يلقي إلي كيسه فآخذ منه ما أريد. فجئته ذات يوم فقلت: احتاج الى شيء فقال: كم تريد؟ فخرجت حلاوة اخائه من قلبي).

١٠ـ نسيان الصديق

لعل من اعظم الجفاء لاخيك ان تنساه إذا غاب عنك، لأن نسيانك إياه يدل على عدم تأكد الصلة بينكما. اذ لو كان الحب مستحكما والاخاء راسخاً، والود وثيقاً لكانت صورته ماثلة أمام عينيك أينما كنت وحيثما اتجهت لا تنساه ولا ينساك مهما فرق الزمان بينكما وباعد احدكما عن الآخر.

ولهذا عِدّ الحكماء نسيان الصديق من الجفاء له. والجفاء أعظم مقوّض لكيان الصداقة، واكبر مفرّق بين الاصحاب. لذلك أمرنا أهل البيت عليهم السلام بأن يتعاهد الصديق صديقه ولا ينساه.

قال أبو عبد الله الصادق(ع): (احق من ذكرت من اخوتك من لا ينساك، وأحق من عنيت به من نفعه لك وضرره على عدوك، وأحق من صبرت عليه، من لا بد لك منه).

وترك التعاهد للصديق يسبب التباعد عنه، ويقطع علائق

الأخوة والوداد كما قال ابو الائمة عليه السلام: (ترك التعهد للصديق داعية القطيعة).

وسئل عليه السلام عن المروءة فقال: (اطعام الطعام، وتعاهد الاخوان وكف الأذى عن الجيران).

١١ـ التفريق بين الاخوان

الناس من حيث المبدأ والنهاية سواسية كأسنان المشط كلهم لآدم وآدم من تراب.

ولكنهم من حيث المواهب والصفات والملكات درجات وطبقات. فهناك طبقة العلماء والحكماء والاتقياء وهي الطبقة العليا. وهناك طبقة **الجهال** والفساق وهي الطبقة السفلى. وبين هاتين الطبقتين منازل متعددة.

وقد نص على ذلك القرآن الكريم فقال: ﴿يَرْفَعُ **اللهُ** الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم **وَالَّذِينَ** أوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ﴾. (١)

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أنْظُرْ كَيْفَ **فَضَّلْنا** بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (٢).

وقال عز شأنه: ﴿أمْ نَجْعَلُ **الْمُتَّقِينَ كَالفُجّارِ**﴾ (٣).

---

(١) سورة المجادلة ١١.
(٢) سورة الأسراء ٢١
(٣) سورة ص ٢٨.

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾. (١)

فما واجب الانسان تجاه اصدقائه؟ **أيساوي** بينهم ؟ أم يخالف؟ فان ساوى فقد غمط للرفيع حقه، أو أعطى الوضيع ما لا يستحق.

وان خالف احدث **الضغائن** عليه في قلوب اصحابه. . إذاً فما هو الحل الناجح والرأي الصائب لتلافي هذا **الأمر؟**

الرأي الصحيح : ان يخالف بينهم من حيث الحب القلبي فان هذا متفاوت لامحالة بحسب صفات المحبوب ومميزاته وخصائصه. وكذلك يخالف بينهم من حيث التقدير والاكبار الشخصي **فيعطي** كلا منهم ما يستحق من الاكرام والاحترام.

نعم : المظاهر الودية من حيث الاقبال عليهم، والترحيب بهم والتحدث معهم، والاصغاء الى كلامهم وما شابه ذلك من مظاهر الود وحقوق الاخوة فالجدير به ان يساوي بينهم ـ فيما لو كانوا مجتمعين ـ .

نعم: لو لاقى كل شخص منهم على انفراده فليعطه حقه ولا يبخس. والى هذا المعنى الدقيق اشار ابو عبد الله الصادق (ع) بقوله: (إذا كان القوم ثلاثة من المؤمنين فلا **يتناجى** منهم اثنان دون صاحبهما فان ذلك مما يحزنه ويؤذيه).

---

(١) سورة الزمر ٩.

أصناف الاصدقاء

وردت عن أهل البيت عليهم السلام بعض أحاديث تكفلت ببيان أنواع الأصدقاء، وأصناف الاخوان . وأوضحت صفات كل قسم منهم ليكون الانسان على بينة من الأمر.

وأي فرد من الناس لم يشهد في حياته أقساماً من **الأخلاء** وأنواعاً من الأصحاب ؟ منهم من يُعتمد عليهم، ويطمئن بهم، ويبتهج القلب بصحبتهم وتقر العين برؤيتهم.

ومنهم من لا يزيدون صاحبهم إلا هما **وغمًا** . هم في الظاهر أحباء وفي الباطن أعداء. يضمرون له الكيد ، ويتربصون به الدوائر . فالحذر الحذر من الوقوع في حبائل أولئك المداهنين الذين هم أشد على الانسان من أعدائه المتجاهرين وخصمائه المتظاهرين«أولئك شر مكاناً وأضل سبيلا».

وهلم معي الآن لنقف على اصناف الاخوان كما يوضح لنا ذلك أهل البيت عليهم السلام:

قال امام الحكمة وسيد الامة علي بن أبي طالب(ع): (الاخوان صنفان : اخوان الثقة ، واخوان المكاشرة.

فاما اخوان الثقة فهم كالكف والجناح **والأهل** والمال. فاذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك وصاف من صافاه وعاد من **عاداه** ، واكتم سره، وأعنه، **وأظهر** منه الحسن. واعلم أيها السائل أنهم أقل من الكبريت الأحمر.

وأما اخوان المكاشرة فانك تصيب منهم لدتك ، ولا تقطعن ذلك منهم، ولا تطلبن ماوراء ذلك من ضميرهم. وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه، وحلاوة اللسان).

وقال سيد الشهداء الحسين بن علي (ع): (الاخوان أربعة: فأخ لك وله، وأخ لك، وأخ عليك، وأخ لا لك ولا له).

فسئل (ع) عن معنى ذلك فقال: (الأخ الذي هو لك وله: فهو الاخ الذي يطلب باخائه بقاء الاخاء، ولا يطلب باخائه موت الاخاء فهذا لك وله. لانه إذا تم الاخاء طابت حياتهما جميعاً. وإذا دخل الإخاء في حال التناقض بطلا جميعاً.

والأخ الذي هو لك: فهو الاخ الذي قد خرج بنفسه عن حال الطمع الى حال الرغبة فلم يطمع في الدنيا إذا رغب في الاخاء فهذا موفور عليك بكليته.

والاخ الذي هو عليك: فهو الاخ الذي يتربص بك الدوائر ويفشي السرائر،ويكذب عليك بين العشائر. وينظر الى وجهك نظر الحاسد فعليه لعنة الواحد.

والاخ الذي لا لك ولا له: فهو الذي قد ملأه الله حمقاً فأبعده سحقاً فتراه يؤثر نفسه عليك، ويطلب شحاً ما لديك.

وقال الامام الصادق (ع): (الاخوان ثلاثة: واحد كالغذاء الذي يحتاج اليه كل وقت وهو «العاقل».
والثاني: في معنى الداء وهو«الأحمق».

والثالث: في معنى الدواء وهو «اللبيب».

وقال ايضاً: (الاخوان ثلاثة : مواس بنفسه، وآخر مواس بماله وهما الصادقان في الاخاء، والآخر يأخذ منك البلغة ويريدك لبعض اللذة فلا تعده من أهل الثقة).

اختبار الاصدقاء

لكل انسان في الحياة اصدقاء يأنس بهم عندالوحشة ، ويلجأ اليهم عند الشدة ويستعين بهم على حوادث الدهر، وكوارث الايام، ويودعهم اسراره واخباره وأفكاره. ولكن طالما يظفر الانسان بأصحاب يرتاب من صدقهم ، ويشك في اخلاصهم. فماذا يصنع معهم؟ أيهجرهم لمجرد الشك والارتياب ويعرض نفسه الى اضرار الهجران واخطاره؟ وهذا خطأوخطل. .أم يعتمد عليهم، ويركن اليهم، ويثق بهم؟ وهذا وهن وقلة حزم. . فما العمل يا ترى؟

هل هناك طرق لاختبارهم، واستكشاف حقيقتهم حتى يتبيّن له الرشد من الغي ، ويميز الخبيث من الطيب، ويعرف الصادق من الكاذب؟

نعم: هناك طرق نصبها أهل البيت ، ودلائل وضعوها لاختبار الصديق وامتحانه سنعرضها بين يديك فتدبر معانيها، وفكر في مغازيها. وحاول أن تطبقها تطبيقاً عملياً مع كل صديق تشك في صدقه، وترتاب من اخلاصه لتلمس من ذلك أحسن النتائج، وتجني منها أطيب الثمرات. إذ لا يحسن بالانسان ان

يثق بمن يصاحبه كل الثقة إلا بعد اختباره والوقوف على حقيقته كما قال الحكيم الاكبر علي بن أبي طالب (ع) يوصي ولده الحسن(ع): (يا بني لا تؤاخ أحداً تعرف موارده ومصادره).

وقال (ع): (لا تثق بالصديق قبل الخبرة).

وقال (ع): (لا ترغبن في مودة من لم تكشفه).

وقال (ع): (من قلّب الاخوان عرف جواهر الرجال).

واليك الآن طرق الاختبار:

١ـ قال رسول الله (ص): (صدق المحبة في ثلاثة: يختار كلام حبيبه على كلام غيره، ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة غيره، ويختار رضا حبيبه على رضا غيره).

٢ـ قال الامام الباقر(ع): (اعرف المودة لك في قلب أخيك بماله في قلبك).

٣ـ قال الامام الصادق(ع): (أنظر قلبك فان انكر صاحبك فانّ أحدكما قد أحدث شيئاً).

٤ـ وقال ايضاً: (ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة مواطن. لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الاخ إلا عند الحاجة).

٥ـ وقال (ع): (يمتحن الصديق بثلاث فان كان مؤاتياً [1]

---

(١) المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة.

فيها فهو الصديق المصافي وإلا كان صديق رخاء لا صديق شدة. تبتغي منه مالا، أو تأمنه على مال، أو مشاركة في مكروه).

٦ـ وقال (ع): (إذا أردت ان تعلم صحة ماعند أخيك **فأغضبه** فان ثبت لك على المودة فهو أخوك وإلا فلا).

٧ـ وقال (ع): (لا تعتد بمودة أخيك حتى تغضبه ثلاث مرات).

٨ـ وقال (ع): (من غضب عليك من اخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك مكروهاً فأعدّه لنفسك).

٩ـ وقال(ع): (لا تسم الرجل صديقاً وسمه معرفة حتى تخبره بثلاث خصال: حتى تغضبه فتنظر غضبه يخرجه من حق الى باطل، وتسافر معه، وتخبره بالدينار والدرهم).

١٠ـ وقال (ع): (امتحن أخاك عند نعمة تجددلك، أو نائبة تنوبك).

١١ـ وقال (ع): (اختبروا اخوانكم بخصلتين فاذا كانتا فيهم وإلا **فاعزب ثم اعزب** [1] : المحافظة على الصلوات في مواقيتها، والبر في الاخوان في اليسر **والعسر**).

١٢ـ وقال(ع): (لا يعرف الناس إلا بالاختبار فاختبر أهلك

---

(١) اعزب ثم اعزب : ابتعد ثم ابتعد.

وولدك في غيبتك، وصديقك في مصيبتك، وذا القرابة عند فاقتك، وذا التودد والملق عند عطلتك، لتعرف بذلك منزلتك عندهم).

١٣ـ وسأله رجل عن الشخص يقول لي: «أودك» فكيف أعلم انه يودني؟ فقال(ع): (امتحن قلبك فان كنت تودّه فانّه يودك).

١٤ـ قال رجل للامام موسى بن جعفر(ع): ان الرجل من عرض الناس يلقاني فيحلف بالله انه يحبني، فأحلف بالله انه صادق؟ قال (ع): (امتحن قلبك فان كان يحبه فاحلف وإلا فلا).

١٥ـ قال الامام الجواد(ع): (من علامة المحبة كثرة الموافقة وقلة المخالفة).

١٦ـ قال الامام الهادي (ع): (لا تطلب الصفاء ممن كدّرت عليه، ولا الوفاء ممن غدرت به، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك اليه فانما قلب غيرك كقلبك).

الاعتدال في الحب والبغض

قبل أن ننتهي من البحث لا بد لنا من الاشارة الى أمر هام نبهنا عليه اهل البيت عليهم السلام. يجدر بكل انسان أن يضعه نصب عينيه في حياته الاجتماعية وذلك هو الاعتدال في الحب والبغض وعدم الافراط بهما. فاذا احببت أحداً فلا تبالغ في حبه

وودّه فتكشف له كل ما يجول في نفسك ويدور في خلدك إذ من الجائز أن يكون هذا الحبيب عدواً لك في المستقبل.

واذا **أبغضت** أحداً فلا تفرط في بغضه ولا تمعن في ايذائه وعدائه فلعله يكون لك حبيباً في المستقبل. وهذا المجتمع اكبر شاهد على ذلك فكم من صديق انقلب عدواً، وكم من عدو صار صديقاً.

والى هذا الامر الدقيق نص سيد الاوصياء امام الحكماء علي **ابن** ابي طالب (ع) بقوله:

(احبب حبيبك هوناً ما، عسى ان يكون بغيضك يوماً ما. **وأبغض** بغيضك هوناً ما، عسى ان يكون حبيبك يوماً ما).

خاتمة البحث

وصية الامام علي لولده الحسن
في معاشرة الاصدقاء

يجدر بنا أن نختم الكتاب بقطعة من الوصية الخالدة التي قدمها حكيم الاسلام الإكبر وبطله الاعظم علي بن ابي طالب لولده الامام الحسن الزكي عليهما السلام. وهي لعمر الله اعظم دستور اجتماعي واكبر قانون اخلاقي قد احاط بأسس الصداقة المثالية، ورسم منهج الاخوة الصادقة التي لا غنى لكل من اراد الحياة الاجتماعية السعيدة عن تدبر معانيها، والعمل بما فيها:

قال عليه السلام: (احمل نفسك مع اخيك عند صَرْمه [1] **على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده[2] على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على** اللين، وعند جرمه على الاعتذار، حتى كأنك له عبد وكأنه دو نعمةعليك. وإياك ان تضع ذلك فيغير موضعه، وان تفعله بغير أهله لاتتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك، ولاتعمل بالخديعة فانها خلق اللئيم. واحض اخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة، وساعده على كل حال، وزل معه حيث زال، ولا

(١) الصرم: القطع والهجران.

(٢) الجمود: المراد به هنا البخل.

تطلب مجازاة اخيك ولو حثا [1] التراب بفيك. وخذ على عدوك بالفضل فانه أحلى للظفر وتجرع الغيظ فاني لم أرَ جرعة احلى منها عاقبة، ولا الذّ مغبّة [2]. ولا تصرم [3] اخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، ولن لمن غالظك فانه يوشك أن يلين لك. ما اقبح القطيعة بعد الصلة والجفاء بعد الاخاء، والعداوة بعد المودة، والخيانة لمن ائتمنك، وخلف الظن لمن ارتجاك، والغدر بمن استأمن اليك. وان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا ذلك له يوماً ما. ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه، ولا تضيعنّ حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه. فانه ليس بأخ من أضعت حقه ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك، ولا ترغبن فيمن زهد فيك، ولا تزهدن فيمن رغب اليك إذا كان للخلطة موضعاً، ولا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا يكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان، ولا على البخل أقوى منك على البذل، ولا على التقصير أقوى منك على الفضل. ولا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرك ان تسوءه).

***

وإلى هنانمسك بعنان القلم، ونحسب أننا قد أوقفنا القارىء الكريم على كنز علمي لا يضاهى، وثروة أخلاقية لاتجارى، قد

---

(١) حثا التراب: رماه.
(٢) المغبة: العاقبة.
(٣) لا تصرم: لا تقطع

تفرقت في طيات الكتب، وتبددت على صفحات الاسفار وهي احدى حسنات اهل البيت الطاهر على الامة الاسلامية بل على البشرية جميعا. وما اكثر حسناتهم، وما اعظم اياديهم، وما اكبر حقهم، ولكن اكثر الناس لا يشكرون ، ولو انهم آمنوا بحقهم واتقوا مخالفتهم لفتح الله عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

وآخِرُ دَعْوانا أن الْحَمْدُ لله رَبّ العالَمِينَ

مصـــادر الكـتاب

١ـ القرآن الكريم	كتاب الله الخالد
٢ـ نهج البلاغة	للامام علي بن أبي طالب(ع)
٣ـ رسالة الحقوق	للامام زين العابدين(ع)
٤ـ عيون أخبار الرضا(ع)	لابن بابوية القمي
٥ـ مصادقة الاخوان	للشيخ الصدوق
٦ـ بحار الأنوار	للشيخ المجلسي
٧ـ مكارم الأخلاق	للشيخ ابي نصر الحسن الطبرسي
٨ـ مشكاة الأنوار	للشيخ ابي الفضل علي الطبرسي
٩ـ كنز الفوائد	للشيخ الكراجكي
١٠ـ جامع السعادات	للشيخ النراقي
١١ـ إحياء العلوم	للشيخ الغزالي
١٢ـ إرشاد القلوب	للشيخ الديلمي
١٣ـ جامع الأحاديث	لأبي محمد القمي
١٤ـ الصداقة والصديق	لأبي حيان التوحيدي
١٥ـ مجمع البحرين	للشيخ فخر الدين الطريحي
١٦ـ الأصول الستة عشر	لجماعة من العلماء
١٧ـ جامع الأخبار	...
١٨ـ خصائص الشيعة	للسيد محمد مهدي القزويني
١٩ـ أعيان الشيعة	للسيد محسن الأمين
٢٠ـ أنيس النفس	للشيخ نظر علي الحائري
٢١ـ لباب الآداب	لأسامة بن منقذ

٢٢ـ جوامع الاداب	للشيخ جمال الدين الدمشقي
٢٣ـ الامام الصادق (ع)	للشيخ محمد حسين المظفر
٢٤ـ الأخلاق والواجبات	للشيخ عبد القادر المغربي
٢٥ـ الخلق الكامل	لمحمد احمد جاد المولى
٢٦ـ حكم الامام علي	لكورنيلوس
٢٧ـ كيف تكسب الأصدقاء	لديل كارنيجي
٢٨ـ السعادة والسلام	للورد افبري

الفهرس

تمهيد ٧
نظرة أهل البيت إلى الصداقة ١٢
أهمية الصديق في الحياة ١٥
من هو الصديق المختار؟ ١٨
حقوق الصداقة وحدودها ٣١

مقومات المودة

١ـ التزاور ٤١
٢ـ السلام والمصافحة والمعانقة ٤٤
٣ـ التهادي ٤٦
٤ـ طلاقة الوجه والتبسم ٤٧
٥ـ التواضع مع الاصدقاء ٥٠
٦ـ حسن الظن بالصديق ٥١
٧ـ الثقة بالاخوان ٥٢
٨ـ كتمان السر ٥٣

٩ـ التفقد عن أحوال الصديق الشخصية ٥٥
١٠ـ تصديق الاخوان ٥٧
١١ـ الاغضاء عن الاساءة ٥٨
١٢ـ ادخال السرور على الاصدقاء ٦٣
١٣ـ نصرة الصديق ٦٦
١٤ـ مواساة الصديق وقضاء حاجته ٦٧
١٥ـ اكرام الصديق واعظامه ٧٥
١٦ـ الايثار ٧٩
١٧ـ النصيحة ٨١
١٨ـ اخبار الصديق بحبه اياه ٨٧
١٩ـ الدعاء للصديق ٨٨
٢٠ـ اجتماع الاصدقاء وتلاقيهم ٨٩
٢١ـ مقابلة الحسنة بالثناء والتقدير ٩١
٢٢ـ مقابلة الاساءة بالاحسان ٩٦
٢٣ـ حفظ الاخ في غيبته ٩٨
٢٤ـ اللطف والرفق في المعاشرة ٩٣
٢٥ـ تبادل الاخاء بين الاصدقاء ١٠٢
٢٦ـ المداومة على الاخاء ١٠٤
٢٧ـ حسن الاستماع للصديق ١٠٧
٢٨ـ اطعام الاصدقاء ١٠٩
٢٩ـ كثرة الموافقة وقلة المخالفة ١٠٤
٣٠ـ اصلاح النفس قبل اصلاح الغير ١٠٤

مقوضات المودة

١ـ التملق ١١٥
٢ـ خيانة الاصدقاء ١١٦
٣ـ الجدل والمراء ١١٩
٤ـ التكلف مع الاصدقاء ١٢١
٥ـ الهجران ١٢٢
٦ـ معاداة الصديق ومصادقة العدو ١٢٦
٧ـ الشماتة بالصديق ١٢٨
٨ـ ايذاء الصديق ١٢٩
٩ـ الانانية ١٣٢
١٠ـ نسيان الصديق ١٣٤
١١ـ التفريق بين الاخوان ١٣٥

***

اصناف الاصدقاء ١٣٧
اختبار الاصدقاء ١٣٩
الاعتدال في الحب والبغض ١٤٢
خاتمة البحث (وصية الامام علي لولده الحسن في معاشرة الاصدقاء) ١٤٤